العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العنوان
شارع الملك فيصل هاتف ٤٠٢٢٩١٥
ص. ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

(ج ٧، ٨ س ٢٢ ـ محرم/صفر ١٤٠٨هـ ـ (أيلول/تشرين الأول (سبتمبر/أكتوبر) ١٩٨٧م)

الصلات بين صنعاء والدرعية

أثناء قيام الدولة السعودية

ليس غريباً أن تجد الدعوة السلفية التي جددها الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وآزرها ونصرها الإمام محمد بن سعود وخلفاؤه من بعده ـ أن تجد هذه الدعوة من علماء صنعاء قبولاً واستجابة فهي دعوة تنبعث من التعاليم الدينية الصافية النابعة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ولأولئك العلماء عناية واهتمام بما أُثِرَ عن السلف الصالح، ولاسيما من ينتسب منهم إلى أهل البيت فهم أولى العلماء باتباع مَاسَنَّهُ المصطفى صلى الله عليه وسلم، والسير على نهجه.

ثم إن تلك الدعوة السلفية تقوم على أساس من الفطرة لم تُلَوِّثْهَا الأفكار المشوبة بآراء أهل الكلام والفلسفة، فتبعدها عن ملائمة الطباع السليمة، وأهلُ تلك البلاد ممن لايزال على طبيعته الخالية من الأوهام والتخريف.

من هنا كان عالم صنعاء محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩/١١٨٢)[1] الإمام المجتهد المشهور ممن سارع إلى استقبال تلك الدعوة بالتأييد والاستحسان.

جاء في ديوان شعره مانصه: لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد، يقال له محمد بن عبدالوهاب ووصل إلينا بعض تلاميذه، وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات سنة ١١٦٣ وأرسلناها من طريق مكة المشرفة وهي:

سَلاَمِي على نَجْدٍ ومَنْ حَلَّ في نَجْدِ وإنْ كانَ تَسْلِيمِي على ٱلْبُعْدِ لايُجْدِي

في قصيدة تزيد على السبعين بيتاً منها في وصف الشيخ محمد :

قِفِيْ واسْأَلِي عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سَوْحَهَا به يَهْتَدِي من ضلَّ عن مَنْهَجِ الرُّشْدِ
مُحَمَّـدِ ٱلْهَـادِي لِسُنَّـةِ أَحْمَـدٍ فيا حَبَّذَا ٱلْهَادِي ويَاحَبَّذَا ٱلْمَهْدِي
لَقَدْ أَنْكَرَتْ كُلُّ الطَّوائِفِ قَوْلَهُ بِلاَ صَدَرٍ في ٱلْقَوْلِ مِنْهُمْ وَلاَ وِرْدِ
وقَدْ جَاءَتِ الأَخْبَـارُ عَنْهُ بـأَنَّهُ يُعِيْدُ لَنَا الشَّرْعَ الشَّرِيفَ بِمَا يُبْدِي
ويَنْشُرُ جَهْراً مَاطَوَى كُلُّ جَاهِلٍ ومُبْتَـدِعٍ مِنْـهُ فَـوَافَقَ مَـاعِنْـدِي
ويَعْمُـرُ أَرْكَانَ الشَّـرِيْعَةِ هـادِمـاً مَشَاهِدَ ضَلَّ النَّاسُ فِيْهَا عَنِ الرُّشْدِ

بعث عالم صنعاء هذه القصيدة ، ولما يَمْضِ على قيام الشيخ بدعوته سوى عشر سنوات ، ولم تنتشر الدعوةُ ، ولم تتوطد قواعد الدولة السعودية بَعْدُ في نجد ، فضلاً عن غيرها من البلاد .

ولكن لم تمض بضع سنوات على نظم تلك القصيدة وبعثها إلى نجد حتى وفد إلى اليمن عالم نجديٌّ من المناوئين لدعوة الشيخ ــ قدم صنعاء سنة سبعين ومئة وألف ، وأشاع عن الشيخ وعن القائمين بمؤازرته إشاعاتٍ صادرة عن هوى وضغينة ، ولكنها كانتْ ذا أَثَرٍ سَيِّءٍ حَمَلَ العالم الصنعانيَّ إلى أن ينظم قصيدة معارضةً لقصيدته الأولى مطلعها :

رَجَعْتُ عَنِ النَّظْمِ الَّذِي قُلْتُ فِي النَّجْدِي فَقَدْ صَحَّ لِي عَنْهُ خِلاَفُ الَّذِي عِنْدِي

قال فيها :

وَقَدْ جَاءَنَا مِنْ أَرْضِهِ الشَّيْخُ مِرْبَدُ فَحَقَّقَ مِنْ أَحْوَالِهِ كُـلَّ مَايُبْـدِي

وجاء في ديوانه : وصل إلينا بعد أعوامٍ من أهل نجد رجل عالم يُدعى مِرْبَدَ ابْنَ أحمد التميمي[٢] ، وكان وصوله في شهر صفر سنة ١١٧٠ وأقام لدينا ثمانية أشهر ، وحصل بعض كتب ابن تيمية وابن القيم بخطه ، وفارقنا في عشرين

شوال راجعاً إلى وطنه . وكان تَقَدَّمَهُ في الوصول إلينا الشيخ عبدالرحمن النجدي ، ووصف لنا من حال محمد بن عبدالوهاب أَشْياءَ أَنكرناها ، فبقينا مترددين فيما نقله الشيخ عبدالرحمن النجدي حتى وصل إلينا الشيخ مربد ، وله نباهَةٌ وأوصل بعضَ رسائل ابن عبدالوهاب وحقق لنا أحواله ــ إلى أنْ قال ــ : ولما أَخَذَ علينا الشيخ مِرْبَدُ ذالك رأينا أنه يتعين علينا نقض ماقدمناه ، فَكَتَبْتُ أبياتاً وشرحها هي ــ ثم أورد قصيدة يناقض فيها قصيدته الأولى ـ إلاَّ أن من العلماء مَنْ يَرَى عدم صحة نسبة القصيدة الأخيرة إلى الأمير محمد بن اسماعيل ، ومنهم الشيخ سليمان بن سحمان الذي ألف رسالة في الموضوع عنوانها «تبرئة الشيخين» وهي رسالة متداولة معروفة . وديوان شعر الأمير محمد بن اسماعيل لم يجمعه هو ، وإنما جمعه ابنه عبدالله ، على ماذكر الشوكاني في «البدر الطالع»[٣] والسيد محمد زبارة في كتابه «نشر العرف»[٤] .

وليس من المستبعد أن يتأثر الأمير محمد بن اسماعيل من عدم الإجابة على قصيدته التي قال في آخرها مخاطباً الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

فَأَحْسِنْ قِرَاهـا بِالْقِـرَاءَةِ نَاظِمـاً عَلَيْهَا جَوَاباً فَهْيَ مِنْ جُمْلَةِ الْوَفْدِ

ولم يذكر مؤرخو نجد كابن غنام وغيره أن الشيخ أجاب على هذه القصيدة التي أوردها ابن غنام في تاريخه كاملة ــ لانظماً ولانثراً ــ .

ومهما قيل عن موقف الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني من الدعوة السلفية إلاَّ أَنَّ مما لاشَكَّ فيه أن ماحدث منه من تأثر بسبب دعاة السوء ماكان مُنْصَباً على حقيقة الدعوة وجوهرها ، وإنما كان متعلقاً بما بلغه من دعاة السُّوْءِ مما قُصِد به تشويه سيرة القائمين بها ، فلقد كان من الأئمة المجتهدين ، المناصرين للكتاب والسنة ، وهذا هو لُبُّ مادعَا إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ــ رحمه الله ــ وهو مايقرره الصنعاني ، ويَدِين به قبل انتشار أَمْرِ الشيخ محمد ــ كما قال الصنعاني في قصيدته :

وَيَنْشُرُ جَهْراً مَاطَوى كُلَّ جَاهِلٍ وَمُبْتَدِعٍ مِنْهُ ، فَـوَافَقَ مَاعِنْـدِي

ومع أن المعنيين بتاريخ الدعوة السلفية ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم لم يهتمُّوا بتدوين مايتصل بإيجاد صلات بين مركز الدعوة (الدرعية) وبين مراكز العلم في بعض الأقطار الأخرى وخاصة صنعاء ، إلاَّ أنَّ الباحثَ قد يجدُ في بعض المؤلفات التاريخية لمحاتٍ تدلُّ على أن القائمين بنشر الدعوة لم يهملوا ذالك الجانب ، فقد ذكر الشوكاني[٥] أنَّ في سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد عبدالعزيز بن سعود مجلدان لطيفان ــ يقصد من المؤلفات التي تُوَضِّحُ حقيقة الدعوة ــ ويظهر أن هذين المجلدين هما المذكوران في رسالة عبدالعزيز بن سعود إلى المنصور علي بن المهدي ، حاكم صنعاء ، يدعوه لقبول الدعوة السلفية ، ووردت الرسالة في مجموع مخطوط ، نُشِرَتْ منه مقتطفات بعنوان «ذكريات الشوكاني»[٦] نَصُّ مافي المجموع : وصل في شهر شوال سنة ١٢١٦ إلى حضرة مولانا الإمام المنصور بالله حفظه الله كتاب من سلطان نجد عبدالعزيز بن سعود وهذا لفظه : السلام التام ، والتحية والإكرام تُهْدَى إلى سَيِّد الأنام ، محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ثم ينتهي إلى جناب الإمام ابن الإمام الشريف علي ، أسعده الله بطاعته وسلمه من الآفات وحفظه من طوارق البليات ، واستعمله بالباقيات الصالحات ، وبعد : الخط الذي مع محمد بن محمسة وصل ، وصلك الله إلى رضوانه ، ومافيه من مواصلة الدعوة والدرس والذي غيره كذالك وصل ، وهذا واصلك بيد ابن محمسة إن شاء الله هدية وهي أجل الهدايا عندنا ، فالمأمول فيك قبولها ، وقبولها جزاؤها وهي مجموع فيه تفسير الشهادتين ، وفيه توحيد الله بالعبادة ، وماعليه من الأدلة ، وفيه كشف الشبهات التي يوردها أعداء الإسلام على أهل التوحيد ، وفيه تفسير فاتحة الكتاب وفيه ستة مواضيع منقولة من السيرة ، فالمأمول فيك تمعن النظر ، وتجمع له علماء أهل السنة وتوثقهم حتى يعطوك العلم على جله ، وفي الحديث عن الصادق المصدوق صلاة الله عليه قال : «الدين النصيحة» . قالوا لمن يارسول الله ؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم» . وأنا أحلف لك ماحملني على هذا إلا هذا ومقتضى هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿قُلْ هذِهِ سَبِيْلِي ، أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيْرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي ، وسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ﴾ وقوله تعالى : ﴿ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ

دَعَا إِلَى الله وَعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إِنَّنِيْ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ أعطى الرَّاية يوم خيبر عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه وقال : «انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم عما يجب عليهم فيه من حق الله تعالى فوالله لأَنْ يَهْدِيَ بك رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ » وفي الحديث الصحيح أيضاً عن معاذ رضي الله عنه لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن قال: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أَوَّل ماتدعوهم إليه شهادةُ أن لا إله إلا الله ، فإِنْ هُمْ أطاعوك لذالك فأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله افترضَ عليهم صدقةً تُؤْخَذُ من أغنيائهم فَتُرَدُّ على فقرائهم . . . » إلى آخر الحديث . وشهادة أن لا إله إلا الله فيها النَّفْيُ ، وفيها الإثبات ، تنفي الأُلُوهِيَّةَ عما سواه جل جلاله وتُثْبِتُها له ، والأُلوهية فِعْلُ العبد ، فإن دعوت الله ودعوت معه غيره أو نحرت لغيره ، أو نذرت أو خِفْتَ أو رَجَوْتَ أو توكلت على غيره فهذا هو الشرك بالله ، وأنواع العبادة كثيرة ، وأما توحيد الربوبية فهو ماأنكره كفار قريش ولانفعهم الإقرار به واقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وٱلأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وٱلأَبْصار﴾ إلى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ الله﴾ وآيات كثيرة في هذا ، وهذا الاختلاف الذي جرى بيننا وبين الناس عند حقه جل جلاله العبادة قال تعالى: ﴿هذانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ وإلَّا ماوقع بيننا وبين الناس اختلافٌ في فرائض الدين ، ولا في محرماته ، والله يقول وقوله الحق: ﴿ومَا خَلَقْتُ الجنَّ وٱلإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون﴾ وقال: ﴿وقضى ربك﴾ أَيْ حَكَمَ وأَمَرَ ﴿أَنْ لاَتَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه﴾ وقال تعالى: ﴿ولَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِيْنَ بَلِ الله فَاعْبُدْ﴾ وقال: ﴿إِنَّ الله لاَيَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَادُونَ ذَالِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ونسأل الله العظيم ، ربَّ العرش العظيم ، أن يجمعنا وإياك على طاعته ، ويجعل لنا ولك في كل خير نصيب ، وأنا أذكرك الآخرة وبقاءك والدينا وفناءك .

وغير ذالك أنهي علينا مع ابن محمسة من عالم من علماء صنعاء أسئلة كثيرة ، وغالبها مايصير سؤال مسترشد ، وكل مسألة جاوبناه عنها بما يكفي ويشفي من الأدلة التي لاتنكر .

وتراني لَزَّمْتُ على ابن محمسة ، وقدرك عندك على عجلة الطارش فأنت اعذر وسامح ، والمأمول فيك تردّ لنا جواب ماذكرنا لك في الورقة ، وما أقر به علماء صنعاء وما أنكروا .

وسعود واخوانه وأبناء الشيخ كثيرو السؤال عنك والدعاء لك ثم أنت في حفظ الله وأمانه والسلام .

وغير ذالك أعداء التوحيد يوم قامت عليهم الأدلة من الكتاب والسنة صاحوا علينا مع ابليس في مسألة الشفاعة ، يزعمون أن نحن ننكر الشفاعة ، والشفاعة ماأنكرناها إلا نشهد بأن رسول الله هو الشافع المشفع ، وأن الأنبياء يشفعون ، والملائكة يشفعون ، والأطفال يشفعون ، ولكن نعتقد فيما ذكر الله في كتابه في قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ الله لَايَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، ومَالَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ ومَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَاتَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ له﴾ وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِيْ يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ . وسئل النبي ﷺ : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ فقال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» . والأحاديث في هذا ماتُحْصَى ، والمهدي من هداه الله قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ الله فَهُوَ الْمُهْتَدِ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُرْشِداً﴾ والعمائم لاتَغُرُّكَ ، ولاتُقَلِّدُهُمْ دِينَك ، قَلِّدْ دِينَكَ كتابَ الله وسنة رسوله ، وإجماع السلف الصالح ، ترى كثيراً منهم مثل ماقال الله : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمنوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيْلِ الله﴾ فلا يوهموك وأنت في أمان الله والسلام . انتهى بحروفه وآخره طابعه هكذا (الواثق بالله عبدالعزيز بن سعود) .

وأورد الشوكاني بعد هذه الرسالة جوابها من صاحب صنعاء المنصور ، ويظهر أنها من إنشاء الشيخ الشوكاني ، لا أُطِيل بذكرها وجاء في خاتمتها : نُصْحُكَ الصحيح قبلناه ، وعلى كاهل السلامة حملناه ، والدين النصيحة ، لاسيما إذا كانت صحيحة ، ونحن لك من الناصحين ، وفاءً بما ندب إليه رَبُّ العالمين ، ثم سيد المرسلين ، فإياك أن تأخُذَ دينَك عن المقصرين ، أو تعتمد على غير كتاب الله المبين ، وماجاء عن رسوله الأمين ، ثم لا تأخذ تفسيرهما إلَّا من نَحَارِيْرِ العلماء ،

القائمين بمعرفة محكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، ومجملها ومبينها ، ومطلقها ومقيدها وعامها وخاصها ، الناهضين بمعرفة أسباب النزول ، ومقتضيات ماجاء عن الرسول ، العارفين بوجوه الجمع والترجيح المميزين بين السقيم والصحيح .

وقال الشوكاني في «البدر الطالع»[٧]: ثم في سنة ١٢٢٢ وصل إلينا جماعة من صاحب نجد سعود بن عبدالعزيز لبعضهم معرفة في العلم ، ومعهم مكاتيب من سعود إلى الإمام المنصور بالله ، وإلَيَّ أيضاً .

وأضاف: ثم وصل جماعة آخرون كذالك في سنة ١٢٢٧ .

ثم وصل جماعة آخرون كذالك في سنة ١٢٤٨ ودار مع هاؤلاء الواردين ومع غيرهم من المكاتبة مالا يتسع المقام لبسطه .

كذا ذكر الشوكاني ويأليته فصل ذالك ، ولعله فعل في كتابه الذي قال عنه في ترجمة سعود[٨] عند ذكر الحوادث التي جرت في عهده (وقد أفردت هذه الحوادث العظيمة في مؤلف مستقل).

استقرار الدعوة وبدء العلاقات الخارجية :

وفي عهد سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رسختْ قواعدُ الدولة السعودية ، وبلغتْ أَوْجَهَا في الانتشار والقوة ، بحيث شملت نجداً والحجاز وتهامة والأحساء ، ووصلت مشارف الشام وحدود الكويت وامتدَّتْ جنوباً إلى حدود عُمَان ، كما شملت بلاد نجران وتوغلت داخل اليمن غَرْباً وجنوباً ، فأصبحت حكومة صنعاء ترى في هذه الدولة وامتدادها إلى تلك البلاد قُوَّةً لابُدَّ من مَدِّ ٱلْيَدِ لِمُسَالَمَتِها . ولاسيما بعد الاستيلاء على مدينة الحديدة وانقياد كثير من القبائل اليمنية التهامية . وكان الحكم في صنعاء لا يرتكز على قوة ، ولايقوم على أساس من التأثير الفعلي في هذه البلاد ، باستثناء المنزلة الدينية التي يتمتع بها الإمام الزيدي ، ومع ذالك فقد كان منصرفاً عن شؤون البلاد ، فبعد وفاة الإمام العباس المنصور سنة ١١٨٩ تولى ابنه علي بن العباس الملقب بالمنصور الإمامة ،

ولكنه عاش عيشة تَرَفٍ وانصراف عن شؤون الملك ، فتلاشت أمور الحكم واضطربت الأحوال في البلاد حتى حوصرت القاعدة صنعاء من قبل إحدى القبائل ، واستولى حمود بن محمد أبو مِسْهار على تهامة ، وتمزقت المملكة وكان أحمد بن المنصور ويلقب سيف الإسلام يتنازع السلطة مع وزير أبيه الحسن بن عثمان العلفي فأيهما غلب قام بتصريف الشؤون حتى انتصر الابن فأوقع بوزيري أبيه ونهب بيوتهم وسجنهم .

وقال ابن بشر[٩]: في سنة ١٢٢٠ بايع صالح بن يحيى العلفي رئيس الحديدة وبيت الفقيه سعوداً على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وحسنت عقيدته للمسلمين ، ثم إن إمام صنعاء سير عساكر عظيمة ، وحاصروا بندر الحديدة وأخذوه ، واسر ابن صالح المذكور ، وكان استعمله أبوه فيها أميراً ، فتجهز صالح إلى زبيد فنازلها وأخذها عنوة وبعث الأخماس إلى الدرعية .

وما أجمله ابن بشر من أخبار مبايعة صاحب الحديدة وما جرى على اثرها ورد مفصلاً في كتاب «نفح العود في سيرة الشريف حمود»ـ ٢٢٠ وما بعدها ـ للقاضي عبدالرحمن بن حسن البهكلي (١١٨٢/١٢٤٨) وهو ممن خب في تلك الحوادث ووضع كما سيأتي .

وفي هذه الأثناء اضطر حاكم صنعاء إلى الاتصال بالدولة السعودية على ماذكر صاحب «درر نحور الحور العين» في حوادث سنة ١٢٢٢ إذ قال: في خامس عشر شهر صفر كان إنفاذ علي بن محمد المراجل الكبسي[١٠] بكتب من الدولة إلى سعود بشرح بعض الحال ، وبذكر ماصنع حمود بن محمد أبو مسهار صاحب جازان ، وكان القاضي عبدالرحمن بن حسن البهكلي قاضي بيت الفقيه من قبل إمام صنعاء أوضح في كتاب إلى وزير صاحب صنعاء حسن عثمان العلفي تغلب حمود على جهات التهائم، واقترح القاضي البهكلي بعث رسول إلى سعود ليحسم المادة بينهم وبينه ، فدعا إمام صنعاء القاضي محمد بن علي الشوكاني واطلعه على الكتاب فقال : مثل هذا لا يحسن فإنه سيفتح عليكم به شَرٌ كبيرٌ ، إلا أنه لما رأى حزم الإمام على إرسال علي بن محمد المراجل لم يجد بُداً من الموافقة ، قال : ومن تمام

شرطكم أن لا يتعلق رسولكم بشيء مما فيه قيل وقال ، وإنما هوحامل كتاب وعائد بجواب ، وأنه لا يجيب إلى خروج أَحَدٍ من حضرة سعود فإن ذالك فتنة . وأضاف المؤرخ اليمني : فلم تنتج الرسالة إلا ماكانوا يحذرون .

ويفهم من قول القاضي الشوكاني: (وانه لايجيب إلى خروج أحد من حضرة سعود) أن غاية إرسال هذا الرسول الاستنجاد بسعود ، ليدفع تقدم الغزاة عن التوغل في البلاد اليمنية ، وخاصة في تهامة التي اكتسحتها حركة حمود أبو مسمار .

ويظهر أن سعوداً أراد قبل ذالك أن يتأكد من استجابة حاكم صنعاء للدعوة السلفية ، وقبول نشرها في تلك البلاد ، ولهذا بعث وفداً إلى صنعاء فصل خبره صاحب كتاب «درر نحور الحور العين» ولكنه لم يورد نصوص الرسائل المتبادلة بين الفريقين ، ويظهر أن تلك الرسائل تتم عن طريق قاضي الإمام الشيخ محمد ابن علي الشوكاني، وأنه هو الذي كان يكتب مايصدر من حاكم صنعاء إلى من في الدرعية من أجوبة ، بعد أن تحال إليه الرسائل الواردة منهم، ولهذا فإن بَعْضَ نسخ تلك الرسائل وُجدتْ في أحد مجاميع القاضي الشوكاني ، ونشر قسماً مما في المجموع[11] الدكتور صالح رمضان محمود ــ أستاذ التاريخ الحديث في (جامعة عدن) .

وقال صاحب «درر نحو الحور العين» في ذكر حوادث سنة ١٢٢٢ ماهذا نصه : وفيها وصل كتاب بعد أيام الحج ، مُفْتَعَلٌ نسبه الفاعل إلى سعود ، وجاء به حفيظ الدوسري ، ولم يبلغه إلى الإمام إنما أَرْعَدَ به وأبرقَ ، لفظه : بسم الله الرحمن الرحيم والعافية للمتقين ، والله الذي لا إله إلا هو لَتَسِيْرُنَّ السيرة الحسنة أوْ لأبعثنَّ إليك أقواماً يحبون الموت كما تحبون الحياة ، ويرغبون في الآخرة كما ترغبون في الدنيا والسلام .

وكان ذالك الكتاب صادعاً للقلوب ، مُفْزِعاً مروعاً ، ووصل به حفيظ الدوسري ، ولما رأى الإمام نشطة النجدية وتملكهم للرعية هاله ذالك ، وسعى فيما يُطْفِيءُ نار تلك المهالك ، فأشار عليه حاكم حضرته البدر الشوكاني بسلوك طريقة العدل ، وضمن له على الله تعالى أن يكفيه جميع مهماته ، وأنه إنِ استعمل

ذالك بنية صادقة كُفِيَ مُهِمَّاتُهُ ، فبادر الإمام بجميع الحكام والوزراء ومشائخ الأسواق ، وأعلن نشر العدل ، وأمر بهدم حانات أهل الجبا المعمورة على أبواب صنعاء ، وأعلن بتحريم الربا ، وأعلن بإسقاط المرجوعات والقبالات وضمانات الأسواق ، وبعث معلمين الخير والصلاة ، ومنع الشرطة ، وزجر البغايا ، ونفى القائم عليهن ، وأَنَّ كُلَّ مُتَعَدٍّ تناله حدود الله ، وبعث بها إلى جميع بلاده ، وبعث حاكمه المجتهد إلى سائر الأقطار رسالة سُمِّيَتْ بِمُسْتَهَلِّهَا : (طلوع شمس عدل) .

ويظهر أن إرسال الكبسي مُوفَداً إلى الدرعية كان بعد ذالك .

وأضاف صاحب «درر نحور الحور العين» في كلامه على حوادث تلك السنة :

وفي آخر جُمَادَى الآخرة وصلت رسل متولي نجد إلى بلاد كوكبان ، واستقروا بحضرة شرف الدين فأكرمهم ، وفيهم رجلان من علمائهم أحدهما عبدالعزيز بن أحمد بن ابراهيم [١٢] ، وساق نسبه إلى جده راشد .

والعالم الآخر عبدالله بن مبارك بن عبدالله بن حمد بن راشد بن بُشَيِّر[١٣] .

قال : وكان مع ابن المبارك وعبدالعزيز من رسل سعود رجل يقال له ابن سَعْدُون ، وابن هُوَيْشِل فأما ابن سعدون فهو من القُوَيْعِيَّةِ وهو محمد بن سعدون ابن مانع بن محمد بن نُخَيْلَان بن محمد بن ميمون ، وأما ابن هُوَيْشِلٍ فهو عبدالله ابن محمد بن علي بن هُوَيْشِلٍ . ولم يذكر المؤرخ ابن جحاف غير هاؤلاء في الوفد .

أما يحيى بن المطهر فقد ذكر في ديوانه[١٤] أن الرسل عدة نفر سبعة أو ثمانية ، وهم عبدالعزيز وعبدالله بن المبارك ، وحفيظ ، وحجلان ، وفهد ، ويوسف القرماني ، أصله من صنعاء ، ولايزال يختلف من نجد إلى صنعاء وكأنه في الأسباب وأمثلهم عبدالعزيز من نجد .

كذا سرد هذه الأسماء ، وقد يكون بينها أسماءُ أُنَاسٍ انضموا إلى الوفد وليسوا منه .

قال ابنُ جحَّاف : لَمَّا استقروا بكوكبان حجبهم حسنُ بن عثمان ــ يقصد وزيرَ الإمام المنصور ــ كراهةً ، وزاده غيظاً أَنْ كاتبوا سيفَ الإسلام .

بقى الوفد في منطقة كوكبان في بلدة شبام التي تبعد عن صنعاء أكثر من مسيرة يوم .

ويظهر أن ابقاء الوفد كان برغبة من حكام صنعاء الذين كانوا يتوقعون أن يكون جواب حكومة الدرعية بما يزيل ما أحاط بهم من تقدم الجيوش الغازية في نواحي تهامة بقيادة الشريف حمود أبي مسمار ، من ارسال قوة أو صدور أمر حاسم للشريف حمود .

يضاف إلى هذا ثورة القبائل القريبة من صنعاء ومحاصرتها لهذه المدينة كما يفهم من الكتابات التي جرت بين الوفد وبين إمام صنعاء وابنه ، فقد أورد المؤرخ اليمني ابن جحاف أنه ورد على الإمام علي بن العباس كتاب بطلب التحيل في دخول الوفد لابلاغ ماقصدوا له ، ومما ورد فيه : انا والله في ابأس مكان وعند أخس جيران ، قد ضاق منا الذرع والفناء ، وأدركنا النصب والعناء ، فإن لم يحسن لنا الاسعاف فليرجع إلينا الخبر لنرجع مع الأثر .

وأورد قصيدة لعبدالله بن المبارك بن بشير المتكلم باسم الوفد جاء فيها[١٥] :

وقد قضى الله في صـــنعا بِأَقضية ... يقضي العجائب منها كل مكياس
جاءت بكيل فحطت في جوانبها ... واستوثقت عند ارجاها بحـراس
وقطعت سبل الساعين واتخـذت ... من بغيهـا كل جبـاء ومكـاس

قال ابن جحاف في ذالك : في يوم الاربعاء (ثالث رمضان سنة ١٢٢٢) ثارت العامة بصنعاء وتَجَمَّعَتْ إلى باب الإمام ، وأفصحتْ بالشكاية ، لِمَا نزل بهم من الضر والحاجة الماسَّة ، إِذْ كانت طائفةُ بَكِيل من القبائل تلك الأيام محاصرةً باب صنعاء أربعةَ أَشْهُرٍ وعَشْراً ، عِدَّةَ الْمُتَوَفَّى عنها ، فامتنع بهم دخول الأرزاق المجلوبة من جميع الآفاق ، وزادت النكاية ، إلا أنه لايمكن خروج رجل من المدينة إلا برفيق من البغاة ، يجعل له على أَمَانِهِ جُعْلاً ، وهو على خطر من سفك دمه ، وإنما يخرج الرجل

لايدري مايقع عليه من السلامة وعدمها، وشكوا أنها غَلَتْ عليهم الأسعار، وأنه لايَحِلُّ السكوت وقد استرعاه الله تعالى، فلما رأى الإمام عليهم من المصيبة ماشكوا أباح لهم قَتْلَ مَنْ وجدوا من بكيل الداخلة صنعاء ــ إلى أن قال ــ: وفي يوم الخميس عادُوا إلى باب داره يشكون له الضُّرَّ، ويسألونه إزالة بكيل عن الباب، وقال قائلهم: لامعنى للإمام إلا ذالك، وإلاَّ كان لَفْظاً مُهْمَلاً. إلى آخِرِ ماأوضح المؤرخ من الفوضى في مدينة صنعاء بحيث أنه في يوم الجمعة ٢٠ رمضان ١٢٢٢ ــ خرج توابع الإمام وعساكره من صنعاء، وغاضبوه، لتأخر أرزاقهم، فنهبوا السَّفْرَ، وطمعوا من تجار الحضارم، وسلبوا من وجدوا، ونالوا من الحرام مانالوا، وهتكوا حرمة الشهر الحرام، فأصبحوا به مفطرين.

أما عن الوفد فكما جاء في قصيدة ابن بُشَيِّرٍ:

فَإِنَّنَا فِي شَبَامٍ بِئْسَ مَنْزِلَةً ... كُنَّا بِهَا حِلْفَ إِبْلَاسٍ وإِفْلَاسِ
لَانَسْتَطِيعُ خُرُوجاً مِنْ دُوَيْرَتِنَا ... كَأَنَّمَا نَحْنُ فِي مِسْجَانِ حَبَّاسِ
لانَسْتَضِيْءُ بِنُورٍ نَسْتَرِيْحُ بِهِ ... وَلَاتُرَوِّحُنَا رِيْحٌ بِنَسْنَاسِ

وفي هذه القصيدة إشارة إلى أنَّ الوفد إنما حضر استجابة لما جاء رسول صنعاء يطلبه من حكومة الدرعية إذ في القصيدة:

جاء الجمال عليٌّ طالباً ثقة ... فأَسْعَدُوهُ بِأَمْرٍ غَيْرِ مِتْعَاسِ
فِيهِ السَّلَامَةُ والإِنْعَامُ لِلضُّعَفَاء ... وللرَّعَايَا وَلِلْمَنْصُورِ ذِي ٱلْبَاسِ

ومن المعلوم أن حكام صنعاء كانوا يتخذون من القبائل وسائل لتوطيد حكمهم ولإخضاع رعيتهم، فقد يكون قيام بكيل لمحاصرة صنعاء بموافقة من حكامها، كما يستشف من قول المؤرخ اليمني أن الوفد لما استقروا بكوكبان جحبهم الوزير حسن بن عثمان كراهة لهم، وزاده غيظاً أَنْ كاتبوا سيف الإسلام وحاكم الحضرة البدر الشوكاني، وأنَّ مما أرسلوه إليهم كتاباً بليغاً، وذكر أن الوزير ابن عثمان أعرض عن تسيير قبائل ذوِي محمد ٱلحَاطَّةِ على صنعاء، وأنه أَغراهم النجديين،

النجديين ، فتحدثوا بأنهم لو ظفروا بأحدهم أو بجملتهم لما تركوهم على الحياة ، فعافت الرسل البقاء ، وهَمُّوا بالعود . وإذَنْ فقد كان في مستطاع وزير حاكم صنعاء أَنْ يَكُفَّ بكيلاً عن حصار المدينة ، وأن يُؤَمِّنَ الطريق لوصول الوفد إليها ، غير أنه لم يفعل ، ولم يُجْدِ توسلهم إلى الإمام وإلى ابنه ، ولما صمموا على الرجوع جاءهم كتاب من الإمام : أَنِ اسْكُنُوا حتى تنفذ قبائلنا الحائلة بيننا وبينكم إلى تهامة .

مكث الوفد في شَبَام كوكبان من آخر جمادى الآخرة حتى السادس من شهر شعبان في تلك الحالة ، ثُمَّ أرسل سيف الإسلام ابن إمام صنعاء المنصور جماعة وافرة من أصحابه ــ على ماقال المؤرخ ــ فاستنزلهم من كوكبان ، ومنع عليهم من قبيلة همدان ، إذْ كانوا قد تَحَشَّدُوا وأرادوا الفتك بهم ، فما أمكنتهم الفرصة ، وخافوا سطوة سيف الإسلام .

قال : ودخلوا صنعاء يوم الخميس (سادس شعبان سنة ١٢٢٢) فأنزلهم سيف الإسلام ببئر الْعَزَبِ ، وبعث إلى عبدالعزيز بكسوة فلبسها ، ثم استقدمه ، فدخل على الإمام وهو بدار الإسعاد في جَمْعٍ ، وكان الإمام قد أَمَرَ بإركابه على فرس جواد من خيله ، ولما دخلوا على الإمام حيوه بالتحية المشروعة ، وصافحوه السلام مصافحة ، وخرجوا عنه ، فأنزلهم بجواره ، فَنَزَلْتُ عليهم ، وأَخَذْتُ مَالَدَيْهِم ، فرأيتهم ينكرون المشاهد والقباب ، والدعاء بغير الله تعالى ، كـ (ياحمد) و(ياعلي) ويشركون المعتقِد ، ويجزمون بوجوب حضور صلاة الجماعة في كل وقت ، وينكرون الزنا والربا ، ويوجبون طاعة أميرهم سعود بن عبدالعزيز ، ويرمون من خالفه بالْكُفْرِ ، ولا يحاشون أحداً خلا أن لهم محبة للدنيا عظيمة ، وتهالكاً عليها ، وتنافُساً فيها ، لهذا خَادَعَهُمْ سيفُ الإسلام بالمال ، فأحبُّوه ، ورأوا له قَدْراً ، ورفعوا له ذِكْراً ، وحاموا حوله ، وتردَّدُوا إليه .

وأشار إلى أن الناس في أول الأمر قد مُنِعُوا من الدخول عليهم ، كما أنهم هم قد مُنِعُوا من الخروج . وأضاف : ثم أُطْلِقَ لهم العِنَان ، فخرجوا ، وقصدوا الأعلام إلى منازلهم . وعدَّ جماعة من هاؤلاء منهم العلامة محمد بن علي الشوكاني ،

والمحدث عبدالله بن محمد بن إسماعيل الأمير ، وعلماء غيرهم من المحدثين ، ذكر أسماءهم ابن جحاف في تاريخه .

ولم يفصل من احوال الوفد مايتضح به مدى استجابة حكام صنعاء للغاية التي حضر من أجلها وهي الاستجابة والقبول للدعوة السلفية، التي أوضحها سعود بن عبدالعزيز في كتابين وجههما مع الوفد، لم يذكرهما المؤرخ ابن جحاف ولكن وردَا في أحد مؤلفات الشوكاني ونُشِرَا في كتاب «ذكريات الشوكاني»[١٦]، كما أن الشوكاني نفسه في ترجمته سعود بن عبدالعزيز من كتاب «البدر الطالع»[١٧] قال: ومازال الوافدون من سعود يفدون إلينا إلى صنعاء إلى حضرة الإمام المنصور ، وإلى حضرة ولده الإمام المتوكل بمكاتيب إليهما ، بالدعوة إلى التوحيد ، وهدم القبور المشيدة ، والقباب المرتفعة، ويُكْتَبُ إليَّ أيضاً مع مايصل من الكتب إلى الإمامين . ثم أضاف : ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء ، وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها ، وفي جهة ذَمَار . انتهى . وهذا صريح في استجابة حكام صنعاء لقبول الدعوة ، وإنْ بَدَا منهم بعض التردد ــ كما يفهم من قول المؤرخ ابن جحاف ــ حين ذكر خبر عودة الوفد ، قال : وكانوا غَاضَبُوا مَرَّاتٍ ، وأرادوا الخروج عن صنعاء ، فثبطهم سيف الإسلام ، وهم يرجون أن تَتِمَّ لهم مآرب ، وكان عبدالعزيز كثيراً ماينكر مايفعله العوام ، من الذبائح لابن علوان ، ويُكَفِّرُهُمْ بالاعتقاد والرضا ، وسمعت سيف الإسلام يقول لعبد العزيز ــ يعني رئيس الوفد ــ : سأُعطيك جماعةً وافرةً من عساكري ، وأجعل لك كتاباً تنفذ به إلى محل ابن عَلْوَان فتهدمه . فرغب أَوَّلاً ، غير أنه مازال يأل ، حتى علم أنه لاطاقةَ له بذالك ، لِشِدَّةِ اعتقاد الناس فيه ، وكان قد طالب بالكتب إلى سعود ، بالإفصاح له عن الحال ، فشرحوا ذالك لسعود ، وانه سيتأثر بالمباشرة بالأمور مرة واحدة ، شَرٌّ طويل ، لما عليه قبائل اليمن على كثرتها من هذه الاعتقادات .

ويظهر أن ابن جحاف هذا المؤرخ كان على صلة قوية بعبد العزيز رئيس الوفد ، فكثيراً ماتحدث عنه أثناء إقامته في صنعاء ، فقد ذكر أن الإمام أودع أربعين أسيراً أرسلوا إلى صنعاء بعد الاستيلاء على بلدة حَيْسٍ التي كانت قدْ

استجابت للدعوة ، فأودعهم الإمام السجن ، فساء عبدالعزيز ذالك ، وتَشَفَّعَ فيهم ، فشفع ، وأُطْلِقُوا وكانوا يَغْدُوْنَ ويَرُوحون بالطرقات ، واختلفوا إلى عبدالعزيز مَرَّاتٍ .

ومما نقل عنه أثناء حصار صنعاء ونزول الضُّرِّ بأهلها قال : سمعت عبدالعزيز يقول : ماأفلح والله من أَهْمَلَ الناس ، وفيه شَيْءٌ من قوة .

وقال حين تحدث عن قيام اتباع الإمام وعساكره بنهب أموال المسافرين وبعض التجار واستخفافهم بحرمة شهر رمضان وإفطارهم قال المؤرخ : إن عبدالعزيز وأصحابه قالوا : أيكون المستحِلُّ عندكم معذوراً ، والله لا أَشكُّ في كفركم . قلت له : لا والله ولكن الأمر بالمعروف أقسام ، فنحن لايمكننا باليد واللسان ، وليس لنا إلا القسم الثالث ، فوالله إن قلوبنا منكرة غير راضية .

ويظهر أن عبدالعزيز كانت صلته بهذا المؤرخ حسنة ، فقد وردت إليه كتب من عسير ومن الطائف ومن اللُّحَيَّةِ فأطلعه عليها ، وأورد خلاصتها في كتابه في حوادث شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٢ .

عودة الوفد إلى الدرعية :

مكث الوفد في اليمن أكثر من ستة شهور ــ من آخر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ إلى أول شهر صفر سنة ١٢٢٣ ــ قال المؤرخ اليمني : وفي يوم الثالث من صفر رَحَلَ رسلُ صاحب نجد عن صنعاء ، عبدالعزيز وجماعته ، بعد طول المدة مع عدم الفائدة .

ثم أضاف : وكان سيف الإسلام قد توسع لهم ، وأنزلهم بداره المرة بعد المرة ، ولما ذهبوا أناهم أموالاً ، وأجابهم إلى ماسألوا ، ولما انفصلوا عن صنعاء جاء منهم تهدُّدٌ وإرجاف ، بعد بلوغهم حصن كوكبان .

ولما بلغوا إلى سعود شكوا مالاقوه غير أنه حصل الاختلاف بينهم ، فرأى مطامعهم الدنيوية قد أفسدت عليه ما أَمَّلَ ، وهَدَمَتْ من بنيانه ما أسسه وأَصَّل ،

فأهمل أمرهم ، وتركهم في الذلة والضيق ، فبلغنا عن حالهم والركة التي لحقتهم ماقضينا منه العجب .

كذا قال هذا المؤرخ ، ومارأَراه إلا متجنياً على هذا الوفد الذي لو لم يكن من أثر وفوده إلى صنعاء سوى ما ذكره الشوكاني ــ وتقدم ــ .

ولا شَكَّ أنَّ للإمام الشوكاني المعروف بسعة علمه ، وباجتهاده ، وبمناصرته لطريقة السلف الصالح ، التي أتى الشيخ محمد بن عبدالوهاب بتجديدها ، وأتت مؤلفات الإمام الشوكاني طافحةً بمناصرتها ــ لاشك أن لهذا العالم الأثر الكبير في انتشار مباديء الدعوة السلفية في هذه البلاد ، وقبله الإمام المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير .

ومع أنَّ المؤرخ لطف الله بن جَحَّافٍ من تلاميذ الإمام الشوكاني ، إلا أنه فيما يظهر في كثير من كلامه يدفعه التحيُّزُ والتعصب إلى أن ينال من الدعوة السلفية ، ومن القائمين بها ، فينسب إليها من الأمور ماهو من اختلاق أعدائها ، مما لاداعي لتفصيله ، ومن ذالك قوله : إن رجال الوفد يوجبون طاعة أميرهم سعود ، ويرمون من خالفه بالكفر . فهذا غير صحيح ، حقاً إنهم يوجبون طاعة ولي الأمر مادام مطيعاً لله ، مُنْفِّذاً لأحكام الشرع الشريف ، أما إذا خالف ذالك أو أمر بمعصية فإنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق .

حمـــد الجاسر

الحواشي :

١ ــ انظر ترجمته في «العرب» س ٧ ص ٦٨٠ و٧٨٠ وفيها تفصيل لمؤلفاته ومصادر ترجمته وتراجم أبنائه .

٢ ــ مربد بن أحمد بن عمر الوُهَيْبِي من فرع ألْوُهَبَة (بني وُهَيْب) من قبيلة بني تَميم ، وهو من أهل بلدة حُرَيْملاء ، وكان ممن طلب العلم في دمشق حيث أقام هناك ثلاث سنوات يدرس فقه الحنابلة على علمائهم ، ثم عاد وتولى قضاء بلدة حُريملاء ، وسافر إلى اليمن سنة ١١٧٠هـ وأقام هناك ثمانية أشهر ، ثم عاد إلى حريملاء فحدث خلاف بين الأمير الذي عينه الإمام محمد بن سعود وبين أمير آخر للبلدة من آل مبارك ، إلا أن أمير الإمام محمد تغلب على البلدة ، فهرب منها الشيخ مربد إلى بلدة رَغبة فأمسكه أميرها علي الجريسي فقتله عام ١١٧١ ــ «علماء نجد خلال ستة قرون» ص ٩٤٧ ــ

٣ ــ ١٣٨/٢ . ٤ ــ القسم الثالث ص ٤٧ . ٥ ــ ٥٢ ــ ٧ .

٦ ــ نشرها الدكتور صالح رمضان محمود أستاذ التاريخ الحديث في جامعة عدن ــ ص ١١٣ .

٧ ــ ٧/٢ . ٨ ــ «البدر الطالع» ١/٢٦٣ .

٩ ــ «عنوان المجد»: ١/٢٩٠ طبعة دارة الملك عبدالعزيز .

١٠ ــ ترجم السيد زبارة في «نيل الوطر» ١٥٧/٢ علي بن محمد بن حسين المراجل الكبسي الحسني فذكر أنه ولد سنة ١١٨٨ وتوفي سنة ١٢٢٣ ووصفه بالتقوى والعبادة ، ونقل ماأورده ابن جَحّاف من إرساله إلى سعود ، ولم يأت بأكثر من ذالك .

١١ ــ من هذا المجموع مخطوطتان مصورتان على شريط (مكروفلم) إحداهما في مكتبة الأمبروزيانا في إيطاليا تحت رقم E87 والثانية في دار الكتب المصرية ضمن المخطوطات اليمنية المصورة سنة ١٩٦٥ كذا ذكر الدكتور صالح رمضان محمود أما أصل المخطوطتين فيظهر أنه في اليمن .

١٢ ــ هو عبدالعزيز بن حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالوهاب بن موسى بن عبدالقادر بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف يلتقي مع الشيخ محمد بن عبدالوهاب في راشد .

ولد حوالي سنة ١١٩٠ في الدرعية وأمه بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، ووالده الشيخ حمد بن ابراهيم كان قاضياً في بلدة مراة ، فقدم على الشيخ محمد في الدرعية وتزوج ابنته ، فأتت بعبد العزيز هذا ، ثم مات أبوه فتزوج أمه الشيخ محمد بن علي بن غَريب المقتول في الدرعية سنة ١٢٠٩ بسبب وشاية ، فالشيخ عبدالعزيز ربيب ابن غَريب ، ونقل ابن حميد في «السحب الوابلة» أنه سمع بعض مشايخ صنعاء يثنون على الشيخ عبدالعزيز بالفضل والعقل وأثنى عليه المؤرخ الجبرتي حين قدم مصر وافداً من عبدالله بن سعود إلى محمد علي باشا في شوال سنة ١٢٣٠ لإبرام الصلح الذي لم يتم .

وقد تولى عبدالعزيز قضاء مدينة عُنيزة بعد إستيلاء إبراهيم باشا على الدرعية سنة ١٢٣٣هـ ، ثم ذهب إلى العراق فتولى قضاء سوق الشيوخ ، وتوفي هناك بعد الأربعين والمئتين والألف ، وقد ترجمه ابن حميد في «السحب الوابلة» [انظر ترجمته في «العرب» س ١٢ ص ٧٠٠] ترجمه عرضاً في ترجمة جده عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالوهاب . كما ترجمه غيره ممن جاء بعده وله رسالة «الأجوبة الشرعية إلى علماء الدرعية» نشرت في الجزء الرابع من «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» طبع المنار بمصر سنة ١٣٤٩ من ص ٥٦٤ إلى ٥٨٤ .

١٣ ــ مجلة «العرب» س ٢٢ ص ٢٠١ .

١٤ ــ «الأسلاك اللؤلؤية في الآداب اليحيوية» ولايزال هذا الديوان مخطوطاً .

١٥ ــ القصيدة كاملة في «العرب» س ٢٢ ص ٣٧٤

١٦ ــ ص ١٢٣ إلى ١٣٣ مع جوابيها من المنصور وابنه أحمد ، والطريف أن في كتاب سعود إلى أحمد ابن الإمام مانصه : ولولا أن القبضة (؟) منعتنا من المواصلة بمواشي واصلنا بمواشي ، والواصل إليك ثلاث بشوت قز ، وثلاث قربات أمهات علامتين ، وشبريَّيْن من قسم شباري أهل نجد ، فالمأمول فيك القبول .

وفي كتاب من عبدالله بن سعود إلى أحمد ابن الإمام : وماذكرت من المواصلة وصلت ، جزاك الله خيراً ، ومقبولة ، كثر الله خيرك ، والواصل إليك إن شاء الله بيد حفيظ عبائتن جوخ ، وسيف وثلاثة بشوت قز ، والمأمول فيك قبولهن .

١٧ ــ ج ١ ص ١٨١ .

انطباعات مسافر عابر :

ـ ٣ ـ

في مدينة (أبي ظبي) وماحولها

إلى (أبي ظبي) :

وفي الساعة الخامسة من مساء يوم السبت (١٣/٣/١٤٠٧هـ/١٥/١١/١٩٨٦م) كان إقلاعُ الطائرة بنا من مطار مَسْقَط ، ويسمى (مطار السِّيْب الدولي) والسِّيْبُ بكسر السين المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة فباء ـ ساحلٌ يقع شمال مدينة مَسْقَط ، فيه ميناء صغير يدعى السِّيْب فيضاف الساحل إليه .

لقد أَكْرَمَنا الْأَخَوانِ الكريمانِ أَبو صالح السَّفِيرُ وأبو عثمان المُلْحَقُ الثقافيُّ فأبى لطفهما إلا أنْ يرافقنا حيث ذهبنا وأَيْنَ حَلَلْنا :

ونُكْرِمُ ضَيْفَنَا مَادَامَ فِينا ونُتْبِعُهُ الكرامَةَ حَيْثُ سَارا

فلم يدعَانَا إلا بعد أن صعدنا الطائرة .

كان أَبُو فَهْدٍ الخيَّال قد قرر العودة إلى الرياض في هذا اليوم ، لِارْتباطه بميعادٍ مع الطبيب الذي اعتاد مراجعته في أوقات مرتبة ، وأنا لم يسبق لي أن زُرْتُ قاعدةَ الإمارات مدينة (أبي ظبي) وها أَنا قد مررتُ بجميع مدن الإمارة ، فوجدتها فرصةً اغتنمتها لزيارة هذه المدينة .

وفي مطارها هبطت الطائرة الساعة السادسة إلَّا ثلثاً ، فكان الافتراق ، وكان مطاراً على درجة من النظافة والسعة ، يضاهي ماشاهدته من مطارات العالم الحديثة .

تبعد المدينةُ عن المطار ٤٣ كيلاً ، ودفعت لصاحب السيارة الأجرة الذي

أوصلني فندق (انتركنتنتال) ستين درهماً من نقد هذه البلاد ، وهو أخٌ يمنيٌّ ، من منطقة رَدَاع ، أمتعني بأحاديثه عن بلاده ، حيث توهمني يمنياً .

وفي غرفة في الدور الرابع عشر أُشاهِدُ منها المدينةَ والبحْرَ ، كان النزول ، بأجرة قدرها ٤٠٠ ريال ــ بعد المماكسة ، ولَمْ أَسِرْ على طريقة : (الكَرِيْمُ لايُمَاكِس) أَيْ لايحاور من يعامله ، فأصحابُ الفنادق من أَوْلَى من يُمَاكَسُ ، فهم في الغالب ممن خَبَرَ طباع أكثر الناس ، فتأثر بتلك الطباع ، وهذَا يدفعهم إلى أن يحاولوا استغلال الطيبين والكرماء منهم ، أو استغفالهم متى وجدوا إلى ذالك سبيلاً ــ وصدق الله العظيم في وصف الإنسان ﴿وإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيْدٌ﴾ . ولا أطيل فقد رَفَضْتُ الجناحَ الذي قال لي الأَخَوَانِ الكريمان : إنه حُجِزَ لي (لأنه يليق بمقام فخامتي) ــ كما قالا !! ــ وما هذا الرفض إلاَّ لِأَنَّ الأجرة اليومية تزيد على ألف ريال !! إنَّ أَحَدَهُما من بلدة الخليل من فلسطين ، والآخرُ من عَمَّان ــ بفتح العين وتشديد الميم ــ ، فكان أنِ اخْتَارا لِي غرفة في الدور الخامس عشر ، وبِئْسَ الاختيار ، ولكنها تليق بالمقام !

إنَّ أُجْرَتَهَا لا تتجاوزُ أربعَ مئة درهم ــ في اليوم سوى إضافة الخدمة ــ ومئة الدرهم تساوي ٩٨ ريالاً سعودياً ، بينما أحدُ الإخوة وهو الأستاذ محمد السُّوَيِّد ــ لم يدفع أكثر من ١٦٠ درهماً لغرفة مماثلة للغرفة التي أسكنها ، لأنه كان أعرفَ مني بالوسائل التي ينبغي استعمالُها مع هاؤلاء ــ ومنها كتاب توصية من إحدى الجهات الرسمية ، ولما عاتَبْتُ موظفَ الاستقبال على هذا التفاوت في الأجور أقسم بأنَّ هذَا حدث خطأً من موظف سوف يُسْتَوْفى الفرقُ من مرتبه ــ وصَدِّقْ أو لاتُصَدِّقْ ــ !!

كنتُ وأَنَا في عُمَانَ ــ قد فَكَّرْتُ في النزول في بلدة العَيْن ، إذْ هيَ أقرب إلى الموضع الذي أردتُ زيارته ، وهو موقع (تُؤَام) الموضع القديم ، الذي اشتهر بأنه مغاصٌ للؤلؤ ، وبلؤلؤه يضرب المثل في الجودة ــ ولكن توقعتُ أنْ أجِدَ في مدينة (أبي ظبي) وهي قاعدة البلاد من المهتمين بالتاريخ من أستفيد من مقابلته ، فكان النزول في هذه المدينة .

وبكَّرْتُ في الصباح لزيارة (المكتبة العامة) فأوقفني صاحبُ السيارة التي ذهب بي إليها عند فرع لهذه المكتبة ظَناً أنَّ هذا ماقصدتُ ، وكانت الأجرةُ كما بدَا من العدَّاد إحدى عشر درهماً ، فدفعت له خمسة عشر ، متوقِّعاً أن يُضيفَ إلى الأجرة مااعتاد أصحابُ سيارات الأجرة في كثير من البلدان طلبه ممن يحملون في سياراتهم ، ولكنه أَرْجَعَ لِي خمسةً قائلاً : يكفي عشرة ، فاستغربت وقلت له : لم أَرَ سائِقَ سيارةِ أُجْرَةٍ أَسْمَحَ منك ، فمن أيِّ بلدةٍ أيها الأخ ؟ فقال : من دَرْعا ــ أَتَعْرِفُها ؟ فأجبتُ : لعلي بتاريخها القديم أَعْرَفُ بها منك ، فما هو اسمها قديماً ؟ فكرر: دَرْعَا، دَرْعَا هو اسمها ولكنني أخبرته بأنها تسمى (أَذْرِعَات) فَحُرِّفَ الاسمُ ، ولعلَّ الرجلَ سُـرَّ بحديثي معه ، فذكر لي اسمه ورقم سيارته ، وأخبرني أنه ممن يَقِفُ دائماً عند باب الفندق الذي أسكنه ، وقد اتضح لي ــ فيما بعد ــ أنَّ السيارات التي تُعَدُّ لاستعمال سكان فنادق الدرجة الأولى تُخْتَارُ ، فتكون الأجرةُ ملائمةً ، وهي أكثر من سيارات الأجرة الأخرى عادةً .

دخلتُ في (المكتبة العامة) الفرع ، بعد أن سجلتُ اسمي في دفتر وضع في المدخل ، الذي أفضى بي إلى حجرة مستطيلة ــ في الدور الأرضي ــ من عمارة ضخمة ، تقع على أهم شارع في المدينة طولاً وكثرة متاجر ــ ورأيت صِوَانَاتِ الكتبِ تملأ جوانبَ الحجرة ، وشاهدتُ وسطها إنساناً جالساً بقرب إحدى المناضد المنتشرة في وسط الحجرة ، فتقدمت إليه ، وجلست على كرسي مقابل له بعد أن سلمت ، ويظهر أنه لم يسمع سلامي ، أو لم أَسْمَعْ إجابته !

أحضَرَ لي الفِهْرِسَ الذي طلبتُ مكتوباً في دفترٍ ، فكان نورُ الحجرة ضعيفاً بحيث لم أتمكنْ من القراءة ، فاكتفيت بمحادثة الرجل ، ليرشدني إلى مقر (المكتبة العامة) فقال : في شارع الكترا ــ لم أفهم الكلمة الأخيرة ، فطلبت كتابتها ، فكتبها كما نَطَقَها ، فاستوضحت منه عما بقربها من الأمكنة المعروفة فقال : خزَّان الماء ، شكرت الرجل ، وخرجت بعد أن عرفت منه أنه من الهند ، وركبت سيارة أجرة ، فكان السير لايزيد على الكيل الواحد . ونزلت عند خزان ماء كبير واقع في الشارع الذي سلكته منذ خرجتُ من الفندق ، واكتفى سائِقُ سيارة الأجرة

التي ذهبت معه على القول : هذا الخزان ، ولا أعرف المكتبة ، وكان عند ركوبي معه قد قال : إنه يعرفها ! أعياني السيرُ والبحثُ فعدتُّ صوب الفندق ، فمررت بمقر (وزارة الثقافة والشباب) فرأيت بجوارها (مكتبة) بابها مفتوح على الشارع ، فدخلتها ، وكنت بحاجة إلى الماء ، فوجدتُّ داخلَ الحجرة المستطيلة التي يفضي إليها الباب رجلاً أسمر اللون ، جالساً ، وأمامه كتاب يطالعه ، فجلست بقربه ــ بعد السلام ــ فأشار إشارة فهمت منها أنه يستوضحني عما أريد ، فأخرجت الدواء الذي معي ، وأوضحت له أنني بحاجة إلى ماءٍ لاستعمال الدواء ، أجاب : طيب طيب !! بلكنة أعجمية ، ثم ذهب إلى أقصى الحجرة الممتلئة بالكتب ، وغاب برهة من الوقت ، وعاد إليَّ وهو يكرر كلمة (ممنوع . ممنوع) ! ويشير إليَّ بالخروج ، فخرجت ، وركبت سيارة أُجْرَة مع أحد الإخوة الذي عرفت منه ــ فيما بعد ــ أنه يمني من (يافع) بعد أن قيل لنا : إنَّ المكتبة العامة تقع في شارع المطار القديم بقرب (وزارة الاعلام) .

في وزارة إعلام دولة الإمارات :

بلغنا الوزارة ، ولم نشاهد المكتبة ، فنزلت وسائق سَيَّارة الأجرة في انتظاري لأستوضح عن موقع المكتبة ، ويظهر أنه خشي أن لا أعود إليه ، فطلب الأجرة ووعد الانتظار ، ولعله استبطاني .

لقد عَرَّجْتُ على أقرب مكتب يلي الباب ، فوجدت فيه سيدة تطالع أوراقاً ، وضعتها وردَّتْ على السلام رداً حسناً ، فذكرتُ لها أنني من طلبة العلم من غير أهل هذه البلاد ، وأُرِيدُ معرفةَ شيء عن تاريخها ، وقد توهمت أنني لا أجد ذالك إلاَّ في (المكتبة العامة) وأنتم موظفو (وزارة الإعلام والثقافة) أعلم الناس بهذا ، فقالت: سأُرْشدك إلى من يفيدك ، ثم كتبت في ورقة صغيرة (الأستاذ محمد خليفة مدير التوثيق الإعلامي)وأشارتْ إلى مكتبه في الدور الأول ، شكرتها بعد أن عرفت أنها من مصر من الشرقية وتدعى السيدة إجلال ، ثم قابلت الأستاذ محمد خليفة خارجاً من مكتبه ، ولكن الرجل الذي ذهب معي ليرشدني إليه أشار إليه وقال له : هذا يسأل عنك ، فعاد إلى المكتب ، وبعد حديث بيننا عرفتُ منه أنه

درس في (برايتون) في بريطانيا ، وأنه يعرفني مما قرأ لي في الصحف السعودية ، ومن ذالك ماكُتِبَ حول توقف مجلة «العرب» وأبدى لي سروره بهذا الاجتماع ، وتمنَّى أنَّ في استطاعته إمْدَادي وإرشادي بما ــ أو بِمَنْ ــ أستفيد به أو منه ، إلاَّ أن ماحادثته عن رغبتي بمعرفته لايوجد لديه عنه شيء . ثم اتصل بالهاتف بإنسانٍ عرفت ــ فيما بعد أنه مدير الثقافة في الوزارة الأستاذ عبدالوهاب الرضوان ، ويظهر أنه ذكرني عنده ، وكأنه يريد من هذا الأخ المجيء ، ولعله كان مشغولاً (لعل له عذر . . .) فاكتفى بأن كتب إليه تعريفاً بِي ، راجياً منه مساعدتي ، وانتهت المقابلة بالاعتذار بأن ماوُضِعَ من دراسات ومعلومات عن موقع (تؤام) يوجد في بلدة (العين) وهذا كتاب إلى وكيل دائرة الآثار هناك ملخصه : (طرفكم . . . يرجى مساعدته في الحصول على بعض المطبوعات عن الآثار) . كما قدم لي نسخة من كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات» قلت له : لعلكم تحتاجونه فعندِي منه نسخة ، ففهمت منه أنه يُفَضِّلُ أن آخُذَهُ ، إذ قال: هذا للتوزيع .

إنَّ سيارات الأجرة من أكثر مارأيت في مدينة (أبي ظبي) ، وتقدير الأجرة بالعدَّاد ، ولكن يُضَايِقُ المرءَ جَهْلُ السائق اللغة العربية ، وهكذا كان مع من ركبتُ سيارته ليريني معالم المدينة ، ويسير بي في شوارعها وشاطئها ، مما بهرني جمال ماشاهدته منها ، بخلاف ماتوقعته .

لاأدري لماذا أَحْسَسْتُ بأنَّني بحاجة إلى التوقف فَجْأَةً بعد زيارتي وزارة الاعلام والمرور عابراً ببعض مكاتب موظفيها من الشَّبَاب، لأسجل بعض الخواطر الذهنية : ــ

أولاها : أنني أَدْرَكْتُ أَنَّ زمن أبي الفتح البُسْتي (علي بن محمد بن الحسين) القائل :

عَلَيْكَ بِالنَّفْسِ فاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالجِسْمِ إِنْسَانُ

هذا الزمن قَدْ تولَّى منذ ألف عام (توفى الشاعر سنة ٤٠٠هـ) وأصبحت الحالة الآنَ بِضِدِّ ماكان يراه ، وبضدِّ المثل : (الرجَال مخابِرُ لا مظاهر) .

ثانيتها : شاهدتُّ بعض الإخوة من بلاد غير هذه البلاد يتولون في بلادنا أو في بلاد إخْوتنا أعمالاً يُديرها شبابٌ هم أقلُّ ثقافةً ومعرفةً وتجربةً منهم ، ولا أدري أَيُدْرِكُ هاؤلاء الذي يُدِيْرُونَ تلك الأعمال أَنَّ لأؤلئك الإخوة من حقِّ الإجلال والتوقير والاحترام مالغيرهم ممن لايتولى شيئاً من الأعمال ؟! فلماذا لاينظر هاؤلاء الرؤساء إليهم نظرتهم إلى أؤلئك ، بل لماذا لاينالون ــ لمنزلتهم العلمية ، ولقيامهم بأعمال هم أقدر منا على القيام بها ، ولاعتبارهم غرباء بيننا ــ ماهم جديرون به من التقدير والاحترام ؟!

الثالثة : حين وقف بي سائق سيارة الأجرة على أحد أبواب مبنى وزارة الإعلام ودخلت ذالك المبنى وكان حديثاً لم يُنْزَلْ بَعْدُ ، سِرْتُ في أبهائِهِ الواسعة ، ومررت بالدهاليز المستطيلة الممتدة بين تلك الأبهاءِ ، فلم أُشَاهِدْ داخل ذالك القسم من المبنى إنْساناً ، وكدتُّ أَنْ لَا أهتدِيْ إلى الباب الذي دخلت منه ، وبعد أن خرجت شاهدتُّ باباً آخر للمبنى ، فوجدته مغلقاً ، فاتجهت إلى باب ثالث تقف عنده سيارات ، فعلمت من أحد الواقفين عندَها أَنَّ المدخل إلى البناية هو من الشارع الآخر .

حسناً أن تتسع المباني وأن تكون على درجة من الحسن والقوة يتلاءم مع مايجب أن تبرز به الدولةُ من أُبَّهةٍ وهَيْبَةٍ ، ولكن التغالي في تشييد المباني الواسعة ، والزيادة على قدر الحاجة وإنْ كان من الأمور التي أَصْبحت من أبرز مميزات هذا العصر ، لا أعتقدُ أننا بحاجة إليه ، لاسيما بعد أَنْ أدركنا أننا قد بذلنا فيه جانباً من ثرواتنا ، كنا أحوج إلى صرفه في جهات أخرى أنفع لنا .

إلى مدينة العين :

ثم بكرت في الصباح ــ صباح يوم الأحد ١٤٠٧/٣/١٤هـ ــ إلى موقف السيارات التي تذهب إلى العين ، وفي حافلةٍ تَضُمُّ نحو خمسين راكباً كان الذهابُ في الساعة السابعة والربع ، والأجرة سبعة دراهم ــ كالأجرة من الفندق إلى موقف السيارات ، والمسافة بين العين وبين (أبي ظبي) ١٦٥ كيلاً .

لقد كان الطريقُ كَبَطْنِ الكفِّ الأملس ، في أرض سهلة منبسطة ، إلا من بعض كثبان الرمال المرتفعة في بعض الأماكن ، ولاسيما بقرب العين ، ولكن الطريق يخترق فجوات واسعة بينها ، وكان مُشَجَّراً من الجانبين ، ويحيط بجوانب منه شَجَرٌ كثيفٌ ، لعله غُرِسَ ليحميه من الرمال ، كانت السيارة الكبيرة تترنَّحُ وتَهْتَزُّ بقوة ، لسرعة سيرها ، إلا أنَّ اشتغالي بالحديث مع جاري خفَّفَ آثار ذالك الاهتزاز ، إنه مصري يدعى أحمد الدردير ، من جرجا محافظة سوهاج بمصر ، من المساعيد ، عاش في هذه البلاد سبعة عشر عاماً يعمل في البناء ، ويذهب كل عام إلى بلاده ثم يعود ، ليس متعلماً ولكنه ذكي ، وقد خَبَرَ طبيعة أهل هذه البلاد فَتَكَيَّف بما يلائم الحياة فيها .

بعد أنْ قَارَبَتِ الســـاعة (٨,٤٠) وقفتْ بنا السيارة عند بناء صغير ، كتب فوقه (مطعم ومقهى فلسطين) فانتشر الركابُ خلفه لقضاء حوائجهم ، إذ لا دورة مياه فيه ، ولكن على الطبيعة الأولى في الخلا ، والاستجمار بالتراب ، مما ذكرني حالة مدينتي الدَّمَّام والخُبَر ــ عام قدمتها ١٣٦٣ ــ وحين كان بنيان البيوت من السعف والبواري ، فكان المرءُ في الصباح يشاهد (العَدَامة) التي بقرب المدينة كأن أسراباً من الغِرْبَان قد انتشرت فيها ، وماتلك سوى السَّيِّدات .

وبعد شرب الشاهي أو غيره من المشروبات خلال مدة لم تزد على ربع الساعة ، استمر السيرُ ، وكان الوصول إلى بلدة العين الساعة التاسعة والنصف ، ثم الاتجاه إلى مَقَرّ فرع وزارة الاعلام ، فوجدت القائم بالعمل مشغولاً حتى عن ردِّ السلام ، بالتحادث مع بعض الجالسين عنده ، حتى أشار إليَّ سائلاً : ماذا أُريد ، فسارع أحدُ الإخوة بجواب صدمني ودفعني إلى الانصراف عنه لأسأل رجلاً جالساً على يميني ، يلبس لباساً افرنجياً : ممن الأخ ؟ لئلاَّ يمتد الحديث بيني وبين ذالك المجيب ، فعرفت أنه من الأردن ، تخرج في جامعتها ويدعى فلاح عبدالله ، وهو موظف في وزارة الإعلام ، مراقبة المطبوعات ــ وحين اطلع على عنوان الكتاب الذي أحمله أخبرني بأن الموجه إليه في (إدارة الآثار) وعَرَّف الأخ القائم بعمل فرع وزارة الإعلام بي ، فدعا بالقهوة ، ورحَّب بي ، وكان

أنِ اتجهت إلى (متحف العين) وهناك قابلت الوكيل المساعد الأستاذ سيف بن علي الضبع الدرمكي[1]، والأخ خَلْفَان ــ مدير الآثار ــ وبعد البحث معهما عن موقع (تؤام) لم أجد لديهما علماً به ، ودعا الأستاذ سيف أحد المشرفين على إدارة المتحف وهو الأستاذ صلاح سليمان من السودان ، متخرج في جامعة الخرطوم ، ليقوم باطلاعي على مايحويه المتحف من آثار في مختلف أقسامه ، وأن يقدم لي نسخة مما نشر عن تلك الآثار ، فكانت جولة قصيرة ، إذْ لم أَرَ ــ فيما اطلعت عليه ــ مايُضيفُ جديداً لمعرفة ماأبحثُ عنه ، سوى مافي ذالك الكتيب الذي قدمت لي نسخة منه وعنوانه (الآثار في دولة الإمارات العربية المتحدة) ويظهر أنه يتكون من أجزاء ، وأنه بشكل مجلة دورية ، قدَّم لي منها جُزْءَيْنِ ــ لعل أحدهما الأول فلا رقم فيه ولاتاريخ له ، أما الثاني فقد كتب فوق غلافه (العدد الرابع : ١٩٨٥م) .

ومدينة العين ــ كغيرها من المدن في (الإمارات) أكثر من يشاهد فيها مِمَّنْ تُمَيِّزُهُ سُحْنَتُهُ ولُكْنَتُهُ في الكلام ، جُلُّهُمْ من الهنود والباكستانيين والإيرانيين ، وقليل من المصريين واليمنيين والشاميين والسودانيين ، ويتعاطى كثير من هاؤلاء وأؤلئك مختلف الأعمال .

وشوارعُ البلدة نظيفة وواسعة ، وأكثرها مُشَجَّرٌ ، وتكثر فيها الميادين المزدانة بالأشجار ، ويحيط بالبلدة حدائقُ من جميع جوانبها ، وقيل لي : إنَّ فيها ثمانية أفلاج تُسْقِي القرى التابعة لها ، منها اثنان في العين نفسها ، ولكن الماء فيها انخفض مستواه وضعف .

ومما لفت نظري أن إشارات المرور للمشاة في الشوارع تُضيْءُ باللون الأحمر دائماً ، وإذا أراد المشاة قطع الشارع غَيَّرُوا النور ، فقد كتب تحت الإشارة الكهربائية : (اضغط الزر لتعبر) .

ولوقوع البلدة في براحٍ وَاسِعٍ من الأرضِ لاتَحُدُّهُ جبالٌ ولا بَحْرٌ ولا آكام ــ اتسعتْ أرجاؤُهَا، وتباعدتْ منازلُها ، كمدينة أبي ظبي وغيرها من أكثر مدن

الإمارات ، وعلى مَرْآى العين من البلدة سلسلةُ جبالٍ تدعى حَفِيت ــ سيأتي الحديث عنها ــ ويقع متحفُ العين في ناحية من المدينة ، متصلة بالبساتين في بناء حديث يتكون من دور أرضي ، وفي جانبه قصر مبنيٌّ على طراز القصور المعروفة في نجد إلى عهد قريب ، يحيط به سور مرتفع ، ذو شرفات ، في أحد أركانه الأربعة برج مستدير ، ويدعى هذا القصر (حصن سلطان) والحصن الشرقي ، وهو مبني على الطراز العُمَاني ، أول من بناه الشيخ سلطان بن زايد آل نُهَيَّان ، ومكتوب على بابه تاريخ عمرانه سنة ١٣٢٨ ــ :

لاح نجمُ السعدِ في باب العلا مجد باق على رغم المعاند
شاد بيت الملك سلطان بن زايد أشرق التاريخ باليوم السعيد

ــ هكذا ورد في مجلة «الآثار» المنشورة في سنة ١٩٧٥م ــ إذ لم أستطع قراءة الكتابة ــ وقد رممت إدارة الآثار هذا القصر .

وفي هذا المتحف ــ المكون من أربعة أبهاء عدا حجر الموظفين ــ مجموعة من المعروضات من الملابس والحلي والأواني المنزلية والأسلحة ، وسُرُجِ الخيل ورحال الإبل ، وبعض الصناديق الخشبية ، وكلها حديثة ، أما الآثار القديمة فأهمها الأواني الخزفية وقطع معدنية مختلفة ، جُمِعَتْ من العين ، وأم النار ، ودُبَيٍّ والشارِقة ، وأم ٱلقِيْوَيْنِ ، ورأس الخيمة ، أقدمها تاريخاً يرتفع إلى الألف الخامس قبل الميلاد ، وليس في المتحف آثار عربية قديمة مهمة ، وقد أُنْشِيء قبل خمسة عشر عاماً (افتتح في ١٩٧١/٩/٢م).

في بلدة البريمي :

إن من المتواتر بين المتأخرين أن بلدة (تؤام) القديمة تقع في المنطقة المعروفة الآن باسم العين ــ البُرَيْمي ، فقد ذكر السالمي في «تحفة الأعيان» ــ ٢٤٨/٢ ــ أن منطقة الجَوِّ معقِلُهَا ٱلبُرَيْمِي ، وتسمى في القديم تُوَام . وفي «دليل الخليج» : ٣٧١ ــ واحة البريمي . . واحة هامة ، تعرف سابقاً باسم توامية (Tuwamiyah) ولكن هذا الاسم بطل استعماله الآن . وفي الكتاب الذي أصدرته حكومة المملكة

العربية السعودية عن قضية البريمي ــ هامش ص ٩٨ ــ: هناك موضعان في المنطقة معروفان من زمن قديم ، وهما البُريمي وبَيْنونة ، وقد ورد ذكر البريمي باسمها القديم (توام) أو (تؤام) في القرن الثالث الهجري ، بينما ورد اسم بينونة في «معجم البلدان» . . . والاسم القديم لمنطقة البريمي هو الجو ، (أو الجوف؟) انتهى .

ولقد أَكَّدَ لي الأميرُ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ــ أمير الشَّارِقَــةِ ــ أن (تؤام) هي العين ، وأن فيها مستشفى أُنْشِيءَ حديثاً يحمل اسم (مستشفى تؤام) كما ورد في كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات العربية المتحدة» في مواضع منه أنَّ بلدة تؤام هي مدينة البُريمي الحديثة ــ والبُرَيْمِي والعين لا فاصل بينهما ، فليكن الذهاب إلى البريمي ، وقد لا أعدم في مدرستها من يُعْنَى بتاريخ هذه البلاد .

لقد بلغتِ الساعةُ الواحدةَ ظهراً ، وهاهي إشارة توضح أننا في البريمي في أثناء أحد الشوارع المتجهة شرقاً ، إنها لوحة كتب فوقها (السلطنة العمانية ــ ولاية البريمي ترحب بكم) وهاهو طراز بناء البيوت قد تَغَيَّر بما تغلب عليه البساطة ، ويشبه كثيراً مايشاهد في بلاد عمان مما هو أقرب إلى الطراز العربي القديم .

وهاهي المدرسة في مبنى حسن ، لامظهر للأُبَّهَةِ فيه ، ولكنه حسن الترتيب من طبقة واحدة ، في حجر واسعة ، محاط بسور ذي باب واحد ، وأدخلني البواب على المدير ، ولكنني وجدته فتاةً يحيط بها ثلاثُ سيدات ، فقلت: لعلي لم أخطيء أنا وإنما الخطأ من (بوابكم) الذي أدخلني في حجرة المدير ، فقالت الفتاة: نعم أنا المدير ، فماذا تريد؟ فأوضحت لها ماقصدتُ ، فقالت: مدرس التاريخ الآن في الفصل ، وكل ماتريد أن تسأل عنه يمكنك الذهاب إلى (وزارة الثقافة) في مَسْقَط ، فأظهرتُ لها بأنني سأنتظر خارج المدرسة ، وكل ماأطلبه إخبار المدرس برغبتي بمقابلته ، فردَّتْ رداً يَتَّسِمُ بالقوة والصرامة بأنه لايمكن لأَيِّ أَحَدٍ هنا أن يجيبك على أي سؤال ، وأن ذالك من اختصاص (وزارة الثقافة) ، ولايسمح لمدرس التاريخ ولا غيره . . وبَدَتْ مُنْفَعِلَةً ، وإنْ تكلفت اللطف بمخاطبتي بكلمة (يا أبي)!

وهكذا كانت مقابلة مدير المدرسة التي عرفت ــ فيما بعد ــ أنها من عُمَان ، وتعلمتْ في المملكة العربية السعودية ، وكان وقتُ تدريس الأبناء قد انتهى ودخل وقتُ تدريس البنات ، كحالة كثير من المدارس في عُمَان ، لقلة الأبنية المعدة للدراسة ، ولقلة المدرسين ، فهم يتولون ــ في الغالب ــ تدريس الجنسين عند نقص المدرسات .

لم أَعُدْ ــ كما يُقَال ــ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ ، بل شاهدتُّ كثيراً من معالم مدينة البُرَيْمي الحديثة ، بنايات ذات طراز يوشك أن يكون متميزاً ومصارف (بنوك) ومطاعم ، ودوائر رسمية ، ثم سُوق شعبي مسقَّفٌ ، يشاهد المرء فيه مايشاهده في الأسواق الشعبية المتشابهة في المدن العُمَانِيَّة ، ويندر أن تشاهد بين منازل هذه البلدة الواسعة أثراً للعمران القديم إلا ماكان داخل بعض بساتين النخيل القليلة ، مما هو مبني بالطين واللبن كمباني البيوت في نجد قبل نصف قرن .

ثم كان الرجوع إلى (أبي ظبي) بعد تناول طعامِ الْغَداء في (مطعم جُحَا المصري) وكان وجبةً دَسْمَةً لم يَزِدْ ثمنُها على اثني عشر درهماً .

ومع أنَّ سيارة الرجعة كانت صغيرة ، إلا أن السير استغرق ساعتين إلا ربعاً ــ سيراً متواصلاً لم يقطعه سوى الوقوف عند حجرة كتب فوقها (مطعم واستراحة بلودان) وهي كالموضع المتقدم وصفه في المجيء .

وهاهي لمحة موجزة عن واحة البريمي التي وقع الاختلاف بين حكومتنا وبين بريطانيا حولها حين كانت مسيطرة على تلك النواحي ، وكان من أثر ذالك نشر كتاب مفصل حول (التحكيم لتسوية النزاع الاقليمي بين مسقط وأبوظبي وبين المملكة العربية السعودية) نشر هذا الكتاب سنة ١٣٧٤ (١٩٥٥م) في ثلاثة مجلدات ملحقة بالرسوم والمصورات الجغرافية وفيها مايغني عن التفصيل .

وقد انْحَسَم ذالك الخلاف ـ ولله الحمد ــ بعد أنِ اسْتَقَلَّتْ دولةُ الإمارات وأصبح جميع الإخوة المتجاورين تجمعهم روابطُ المحبة والائتلاف ، وحسن الجوار ، والتعاون على مافيه خير أمتهم وبلادهم .

إن اسم البُريمي كان يطلق على واحة صغيرة تقع في مثلث من الأرض يبلغ طوله نحو عشرة أكيال ، وعرضه نحو سبعة ، وفي وسطه تقع قريتا البريمي وحماسا ، وتنتشر قرى وبساتين صغيرة في الجوانب الأخرى من المثلث ، ولاتزال أطلال قصر الخندق الذي أقامه الأمير مطلق المطيري الذي كان أميراً للبريمي في عشر الثلاثين بعد المئتين والألف وقتل سنة ١٢٢٨ ، أو أن هذا القصر بناه ابنه سعد سنة ١٢٦٠ ، ويسمى هذا القصر في بعض الأحيان بقصر عبدالله بن فيصل ، لنزوله فيه حين ذهب إلى البُرَيمي مصحوباً بأحمد السديري أمير الحساء سنة ١٢٦٩ .

وكذا قصر السديري المنسوب إلى الأمير أحمد بن محمد السديري أمير البريمي في عهد عبدالله بن فيصل سنة ١٢٧٠ ــ وهذا القصر الواقع بقرب قصر الخندق ، ولاتزال أطلال القصرين قائمة .

ومع هذا مصور جغرافي لموقع البريمي قبل خمسة وثلاثين عاماً كما رسم في الكتاب المشار إليه . [انظر ص ٥٦٣ من هذا الجزء]

أما الآن فقد اختلف الوضع بحيث اتسع عمرانُ بلدة العين فشملت ماحولها من القرى ، وكذا الحال في بلدة البُرَيمي إلا أنَّها لم تبلغ من العمران مابلغته بلدة العين .

في مدينة (أبي ظبي) :

تعتبر مدينة (أبي ظبي) قاعدة الإمارات ــ أحدثُ مدينةٍ فيها ، فزمن الاستقرار في موقعها لايتجاوز القرن الحادي عشر ، بل يحدده صاحب كتاب «المفصل في تاريخ الإمارات» بعام ١١٧٥هـ (١٧٦١م) إذ يقول ــ ج ١ ص ٢٠٨ ــ ماملخصه في هذه السنة (١١٧٥هـ ــ ١٧٦١م) تَمَّ اكتشاف الماء في جزيرة (أبو ظبي) ، وأخذتْ جماعات من بني ياس بالهجرة من منطقة الظَّفْرةِ الصحراوية لتقطنَ في هذه الجزيرة البحرية ، وبدأتْ تمتهن مِهَنَ البحر ، كالغوص وتجارة اللؤلؤ ، وصيد الأسماك ، وصناعة السفن . . . عرفت هذه الجزيرة ــ التي كانت

تفصلها عن البحر مخاضةٌ يقطعها البعيرُ ماشِياً في ساعات الجزر ــ عرفت باسم (أم ظبي) وقيل: إنَّ سبب التسمية أنَّ صيَّاداً طارد ظبياً فيها ، فلما أدركه وأمسك به كان الصيادُ والظبيُ قد تَعِبَا وعطشا فذهب الصياد بالظبي إلى بئر فوجدها جافَّةً ، فهلك الاثنان على البئر ، فجرت تسمية الجزيرة بـ (أم ظبي) ثم (أبو ظبي) . انتهى ، وفي كتاب «دولة الإمارات العربية دراسة مسحية شاملة» ــ ص ٤٧ ــ في تعليل التسمية: ويقال إن هناك جزيرة فيها ظباء كثيرة . انتهى ، ولا أرى في القولين مايقنع الباحث عن الحقيقة .

قد لايَعْني القارِيءَ تعلِيلُ التسمية ، وإنما المهم معرفة تاريخ سكنى الجزيرة وتقدم بيانه، وهي ـ كما يشاهدها المرء ـ رَأْسٌ من الْبَرِّ ، ممتد في البحر ثم يتسع ليشكل شبهَ جزيرةٍ صغيرة ، تنتشر حوله جزائر (أرخبيل) ، أما المدينة الآن فقد نشأَتْ ممتدة حول ذالك الرأس الذي حُفِرَ حتى بلغ عُمْقَ البحر ، فأصبحتْ مدينةُ أبي ظبي تَحُلُّ جزيرةً يحيط بها البحر من جميع جهاتها ، وهي بشكل مُثَلَّثٍ مساحة قاعدته نحو عشرة أكيال ، وضلعاه يتلاقيان عند جسرين يدعى أَحَدُهُمَا جسر المقطع ، في موقع الرأس الذي كان مدخلاً للجزيرة عند الجزر ، قبل تعميقه ، ومن المعروف أنَّ الأرض القريبة من البحر تؤثر فيها ملوحته فتصبح غير قابلة للزراعة ، ولغرس كثير من أنواع الأشجار ، ولكن المرء يعجب حين يلقي نظرةً على هذه البلدة الواسعة ، فيراها غَابَةً مُخْضَرَّةً بأنواع الشجر ، وماذالك إلا للجهد العظيم الذي صُرِف لتبرز بتلك الصورة الجميلة ، وَلاتِّصَال هذه المدينة بالأرضِ البراح الخالية من الجبال والآكام انتشرت في مساحة فسيحة ، فتباعدت مبانيها ، واتسعت شوارعها ، واستطالت ، تتخللها الحدائق الجميلة ، وتنتشر على جوانبها الأشجار الباسقة حتى برزت من أجمل المدن في العالم وأوسعها .

وكانت مدينة أبي ظبي تعتمدُ فيما تحتاجه من مياهٍ على آبار سبع عميقة ، حُفِرَتْ في منطقة سَعْدٍ ، في واحة البريمي ، تنتج في اليوم ٤٠٠ ألف جالون ، وتجري في أنابيب بسعة تسع بوصات ، ممتدة نحو المدينة مسافة ١٤٠ كيلاً ، إلاَّ أَنَّ انخفاض مستوى المياه في تلك الواحة جعل الاعتمادَ على محطات أُنْشِئَتْ

لتحلية مياه البحر ، ومع ارتفاع تكاليف التحلية فالعناية عظيمة بحدائق المدينة ، وتجميل شوارعها بالأشجار والحدائق ، التي يُسْتعان على سقيها واصلاحها بالمياه المستعملة (مياه المجاري) بعد تكريرها ، فَيُسْتَفَادُ منها رياً ، وسماداً .

ويبلغ سكان مدينة أبي ظبي حسب إحصاء سنة ١٩٧٥م : ٢١٠,٢٧٠ نسمة ، نسبة الأجانب ٧٣ ٪ على مافي كتاب «دولة الإمارات» الصادر عن معهد البحوث والدراسات العربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ ص ١٩ ــ بينما كان عددهم سنة ١٩٦٨ : ٤٦,٣٧٥ ونسبة الأجانب ٥٢ ٪ ، إلا أنَّ النسبةَ زادَتْ حتَّى بَلغَتْ حداً مُذْهِلاً في السنوات الأخيرة بحيث لم يزد عدد السكان الأصليين في دولة الإمارات على ١٨ ٪ ــ على ماحدثني الأستاذ محمد بن يُوسف السُّوَيِّد ، الذي يقوم بإعداد دراسة شاملة عن (مجلس التعاون) لنيل درجة الدكتوراه ، وقد اجتمعت به أثناء مروري بمدينة (أبي ظبي) .

في السفارة السعودية :

كان لابُدَّ من زيارة (السفارة) ولكيلا أكون عِبْئاً ثقيلاً على إخواني من موظفيها ، بل لكيلا أثقل كاهلي بما يُغْدِقُونه عليَّ من فضل ورعاية قد يعجزني القيام إزاءَهُما بما يجب علي من شُكْرٍ ــ ذهبت حين قرب موعد السفر في صبيحة يوم الثلاثاء (١٤٠٧/٣/١٦) فاجتمعت بالإخوة محمد بن عبدالعزيز بن مُقْرِن ــ من شقراء ــ وعبدالله العِيسى من الغاط ، وغيرهما ممن لم أحفظ أسماءهم ، أما السفير الشيخ صالح السليمان الفوزان فكان في حفل افتتاح (الحلقة التاسعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية) ، وبعد الأُنْسِ بأولئك الإخوة ، كان الذهاب لزيارة الشيخ أحمد بن عبدالعزيز آل مبارك ــ رئيس المحاكم والدوائر الرسمية ــ فقد عَلِمْتُ بتأثُّرِ صِحَّتِه وأنا في مَسْقط ، وتربطني به وبأسرته الكريمة وبوالده الشيخ عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ معرفةٌ ومحبةٌ منذ أن كُنْتُ في الأحساء سنة ١٣٥٨ ، وقد اجتمعت بالشيخ أحمد في الرياض قبل شهور ، فأكرمني بأن دعاني للزيارة ــ وكان عليَّ أنْ أقوم بذالك بعد أن وصلتُ هذه البلاد ، وبعد الوصول إلى منزل الشيخ قيل لنا أنا والأخ الأستاذ

محمد المُقْرِن : إنه الآن مرتاحٌ ، فاكتفيت بكتابة ورقة أُدعو له بتمام الراحة المقرونة بالصحة والعافية ، ويظهر أن الأخ الذي استقبلنا لم يُخْبِرِ الشيخَ أولَ الأمر ــ كما عرفت فيما بعد ــ.

ذهبت مع الأخ الكريم محمد بن مقرن إلى (المُجَمَّعِ الثقافي) حيث تقع (دار الكتب) فعرفني الأستاذ ابنُ مقرنٍ بأحد كبار موظفي (المجمع) الذي سار بي إلى بَهْوِ الإجتماعات ، حيث ستفتتح في تلك الساعة (الدورة التاسعة لمراكز دراسات الجزيرة والخليج) ، وقد شارك فيها مدعوون من جميع البلاد التي فيها مراكز تلك الدراسات ، كالعراق والكويت والمملكة ــ عن (دارة الملك عبدالعزيز) ــ ولكنني أخبرت الأخ بأنني أرغب زيارة (دار الكتب) فدعا أخاً أرشدني إلى موقعها المجاور لمكان الاجتماع ، فكان استقبالاً كريماً من إخوة جهلتُ الآن أسماءهم ، ولكن ذكراهم الطيبة لن تزول من نفسي ، ومنهم الأستاذ الكريم مدير الدار ، الذي أَفْضَلَ فأَمَدَّني بمجموعة طيبة من المؤلفات التي تتعلق بهذه البلاد ، تاريخاً وأدباً ودراسات شاملة ، وهو من أحبتنا وإخوتنا المصريين .

حين عدتُّ إلى الفندق اتصل بي ــ بالهاتف ــ الشيخ الدكتور عبدالعزيز بن محمد الحُمَيْر ــ بضم الحاء وفتح الميم وإسكان المثناة التحتية وآخره راء ــ وهو من رجال القضاء ، ومن خيرة العلماء خُلْقاً وإدْرَاكاً وتواضعاً ــ نال إجازة الدكتوراه من (معهد القضاء العالي) وبلاده الخَرْجُ ، وقد نُدِبَ للعمل في هذه البلاد منذ خمس عشرة سنة ــ اتصل بي فأخبرني أن الشيخ أحمد تأثر حين علم بزيارتي ، وهو يَوَدُّ أَنْ يراني ، فتركت تحديد الوقت للشيخ نفسه ، فكان أن اتصل بي الدكتور عبدالعزيز مرة أخرى مُحَدِّداً الساعة السادسة والنصف ، وبعد برهة اتصل بي الشيخ أحمد ــ أكرمه الله ــ وأسبل عليه لباس الصحة والعافية ــ مُؤَكِّداً ومعتذراً عما جرى من الحاجب الذي لم يعرفني ، ولايدرك رغبة الشيخ نفسه .

كانت الزيارة والاطمئنان على صحة الشيخ والأُنْس برؤيته ، والاجتماع بإخوة أحبة منهم الدكتور عبدالعزيز الحُمَيْر ، والشيخ عبدالله بن ناصر ــ من المجمعة

ومن قضاة المملكة الذين يعلمون في هذه البلاد ــ وبِابني الشيخ أحمد وابن أخيه الشيخ عبدالله .

كنت قد عزمتُ على السفر في يوم الخميس (١٤٠٧/٣/١٨) وكان الشيخ صالح الفوزان حين علم من الأخ ابنِ مقرن بأنه قد دعاني للعشاء ، اتصل بي لكي يكرمني بالزيارة لأنَّ الوزير السويدي وجه إليه دعوةً للعشاء مع المشاركين في (ندوة تاريخ الجزيرة والخليج) ، فكان الاتفاق على الاجتماع في السفارة صباحاً ، وفي البيت للغداء ظهراً ، وكما قيل: مِنْ مَأْمَنِهِ يُؤْتَى ٱلْحَذِرُ ، فقد وقع ما تحاشَيْتُ وقوعه ، ففي مساء ذالك اليوم كان الاجتماعُ في بيت الأخ محمد المُقْرِن ، حيث سعدت بالالتقاء بجميع موظفي السفارة ، ومنهم من لم أقابله في الصباح كالأخ العقيد عبدالله بن دايل ــ الملحق العسكري في السفارة ، وكنت اجتمعت به في (هيوستن) ، والأستاذ عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن إدريس وهذا عرفته قبل سبع سنوات في إحدى زياراتي لمكتب وزارة الخارجية في الرياض ، ووالده ــ رحمه الله ــ كان ممن تعلمت على يديه مباديءَ القراءة والكتابة في البُرُود ، القرية التي ولدت فيها ، وذالك أعني التعليم سنة ١٣٤٠ ، ومما انطبع في ذهني من أخلاقه الهدوء ، وإطالة الصمت ، وقد علمت من ابنه أنه ــ غفر الله له ــ توفي سنة ١٤٠٢ ــ تقريباً ــ وقد تجاوز التسعين من سني عمره ، وهو من أسرة كريمة (آل غيهب) من بني زيد ــ من أهل شقراء ، ولقد كان ابن استاذي بي حَفِياً ، بحيث أتى إليَّ في الفندق وقت السفر ، ولم يدعني ــ هو والأخ الأستاذ عبدالمنعم ــ سكرتير سفير بلادنا الكريم ــ إلا في داخل الطائرة ، وتولَّيَا رعاهما الله ــ إنْهَاءَ جميع إجراءات السفر ، ولم يفترقا عني هما والأستاذ الدكتور عبدالعزيز الحُمَيْر إلا داخل الطائرة .

ومن بين من أكرمني الأخ ابنُ مقرن بالالتقاء بهم تلك الليلة السيد محمد الهاشمي ــ مستشار الشيخ زايد بن سلطان في شؤون القضاء ، وكان محدثاً لبقاً ظريفاً ، يستحوذ على المستمعين بِحُلْوِ حديثه .

وكان اللقاء الساعة التاسعة صباحاً بأبي سليمان الشيخ صالح السفير في السفارة وبعد صلاة الظهر في البيت ، حيث ضم مع جميع موظفي السفارة ــ

عدداً من الوجهاء من بينهم السفيران السوداني والعراقي ، والأستاذ عبدالله بن حمد الحقيل ــ مدير (دارة الملك عبدالعزيز) والأستاذ عبدالرحمن بن سَرَّاء مساعد مدير الدارة ــ وقد حضرا للمشاركة في اجتماعات (الدورة التاسعة لمراكز دراسات الخليج والجزيرة العربية) وأحد كبار موظفي الإدارة الثقافية (المجمع الثقافي) في (أبي ظبي) .

ثم لاتسل عن حفاوة الداعي الكريم بضيوفه ، لا من حيثُ ماضمتْ مائدَتُهُ الحافلة مما لذَّ وطابَ فحسبُ ، بل بما أضفاه من لطفه الجم :

وَمَاالْخِصْبُ للأضيافِ أَنْ يُكَثَرَ القِرَى ولَكِنَّمَا وجْـهُ الْكَـرِيمِ خَصِيبُ

في مطار الظهران :

في الساعة التاسعة والنصف من ليلة الخميس (١٨/٣/١٤٠٧) كان النزول في مطار الظهران ، بعد رحلة استغرقت ساعة في الجو ، وما ألطف ذالك الأخ الذي كان يقوم بالإشراف على جوازات سفر القادمين ، لقد نَسِيتُ اسمه غير أنه من قبيلة كريمة النسب من بني الْأَحْمَر (بالأَحْمر) من رجال الْحَجْر ، من أَزْدِ السراة ، لقد ذَكَّرَني بلطفه وحسن معاملته ماحدث لي من أحد الإخوة الساعة الحادية عشرة صباح يوم الجمعة (٥/٣/١٤٠٧) وأنا أريد التوجه إلى الظهران ، فقد وضعت حقيبتي في صندوق الفحص ، ولما خرجت إلى الجهة الأخرى حملتها ، واتَّجَهْتُ إلى بَهْوِ المسافرين ، فإذا بذالك الأخ ينادي بأعلى صوته (يامطوَّع . يامطوَّع) فظننته لايعنيني ، وإذا بآخر يلحق بي فيمسكني من كتفي ، ويعود بي إلى الأول الذي انتهرني قائلاً : (افتح الشنطة)! فكان أن فتحتها فرأى الأخ الواقف بجانبي جَوَازَ السفر فيها ، فأراد أخذه ، ولكنني أبيت وأخرجت له البطاقة الشخصية ، فذهب بها ــ ولا أدري إلى أين ذهب ــ بينما أنا واقف جوار الجالس بقرب آلة الفحص أُحَادِثُه بأنه كان من الأولى فتح الحقيبة قبل السماح بحملها ، ثم إن كلمة (مطوع) قد يُقْصَدُ بها معنى آخر غير المعنى المتعارف عليه في نجد ، ليس في داخل الحقيبة سوى كِيْسَيْنِ مملوءَيْنِ بالأدوية التي استعملها كلها ، ومكتوب فوق كل

تحقيقات جغرافية عن بعض الأماكن الدينية :

ـ ٥ ـ

حدود حمى المشاعر

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد : بناء على أمر المقام السامي رقم ١١٥٥/٤/٤ في ١٤٠١/٥/١٨هـ المبني على خطاب سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد رقم (٢/٤٧٣) في ١٤٠١/٣/٧هـ المتضمن ماجاء بقرار مجلس هيئة كبار العلماء في الدورتين (السادسة عشرة) و(الخامسة الاستثنائية) حول مارفع من التعديات على أجزاء من المشاعر المقدسة والطرق المؤدية إليها الخ .

وموافقة المقام السامي الكريم على ماجاء فيه من لجنة مكونة من : الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين سليمان بن عُبَيْد ، والقاضي بمحكمة التمييز عبدالله البسام ، والقاضي بمحكمة التمييز عبدالله ٱلْمَنِيْع ، ووكيل إمارة منطقة مكة المكرمة حمد بن محمد الشاوي ، وأمين العاصمة المقدسة عبدالقادر كوشك ، وقائم مقام العاصمة المقدسة الشريف شاكر بن هزاع ومندوب عن وزارة الحج والأوقاف للنظر والقيام بما يلي :

ـ وذكر أشياء يهمنا منه هنا :

ـ إزالة جميع التعديات التي حدثتْ على المشاعر وطرقها ، وماينبغي أن يكون من مرافقها وحماها ، وقد أوصى المجلس اللجنة المذكورة بالاهتمام بالعناية بها ،

زجاجة نوع الدواء ومصدره (مستشفى الملك فيصل التخصصي) وفيها أوراق خالية من الكتابة ، وليس في عمل هذا الأخ سوى إثارة التوتر وشتّى الانفعالات النفسية ، في حالة أحوج مايكون المرء فيها إلى استقبال السفر مرتاحَ الذهن ، هادِيءَ المشاعر ـ وما أشَدَّ الفرق بين معاملة الأَخَوَيْنِ . ولله في خلقه شؤون !!

حمد الجاسر

والاهتمام بأمر المشاعر والمحافظة عليها في الحاضر والمستقبل ، وملاحظة الاحتياط في العمل ، والإسراع في إنجازه ، وبعد ذالك تبدأ اللجنة بكامل أعضائها بدراسة الموضوع .

وقامت بعدة استطلاعات على مشعري عرفة ومزدلفة ومايجب أن يكون حِمًى لها ، وبعد تداول الرأي وتبادل المشورة ، والاجتماع إلى جهات النظر تقرر مايلي :

فيما يتعلق بحمى المشاعر من طرق ومواقف للسيارات ، ومرافق عامة ، فيكون الحدُّ الغربي لها الطريق العام المسمى (شارع مزدلفة) الممتد من دَقْم ٱلْوَبَر جنوباً ، حتى يصل إلى جسر الشارع العام ، طريق الطائف السريع ، ثم ينعطف شرقاً مع الشارع طريق الطائف المذكور ليشكل حَداً جنوبياً حتى يصل إلى جَسْر مفرق الطريق المؤدي إلى جدة ، الواقع جنوب شرقي عرفة ، ثم ينعطف إلى الشمال مع سلسلة جبال ملحة حتى يتصل بجبل سَعْدٍ ، ويمتد هذا الحدُّ إلى أن يصل إلى ملتقى وَادِي وَصِيق بوادي عُرَنَةَ ثم يمتد مُتَّجِهاً إلى الجهة الشمالية الغربية مع ضَفَّة فج الحرمان ــ الشرقية الشمالية حتى يصل إلى جبل الطارقي ، ثم ينعطف الحدُّ غرباً حتى يلتقي بوادي سديرة المشهور بوادي المعيصب ، ثم يستمر الحدُّ مع وادي المعيصب حتى يصل إلى سفح الناحية الشرقية من جبل ثَبِير الواقع شمال مِنَى .

وتوصي اللجنة بأن يُعْهَدَ إلى جهة الاختصاص فتقوم بوضع أعلام على مرافق المشاعر ومحارمها ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

التاريخ : ١٤٠٢/٣/٩هـ . (تواقيع اللجنة)

بعد هذا صدرت الموافقة السامية بموجب خطاب نائب رئيس مجلس الوزراء إلى وزير الداخلية بخطابه رقم ١٨٣٦٦ في ١٤٠٢/٨/٢هـ الذي جاء فيه :

يقوم معالي الرئيس العام لشؤون الحرمين الشريفين الشيخ سليمان بن عُبَيْد وفضيلة الشيخ عبدالله بن مَنِيع وفضيلة الشيخ عبدالله بن بَسَّام بالإشراف على تنفيذ ماقررته اللجنة المذكورة ، ومتابعة العمل ، ومواصلة الجهود ، حتى يتم

ذلك على الوجه الأكمل . ولموافقتنا على ذالك نرغب إليكم إكمال مايلزم بموجبه ، وقد زودنا كُلًّا من وزارة العدل وأصحاب الفضيلة بنسخة من أمرنا هذا للاعتماد .

نائب رئيس مجلس الوزراء .

ألجَمَرَاتُ :

الجمَرات جمع جَمْرةٍ ، قال في «المصباح»: هي مجتمع ألْحَصَى بِمِنَى ، فكلُّ كومة من الحصى جَمْرة والجميع جَمَراتٌ .

وقال الشيخ : محمد حسن مكرم في كتابه «غنية الناسك» : الجمرة : موضع الشاخِص ، لا الشاخص فإنه علامة الجمرة فإن وقع الحصى في الشاخص ولم ينزل لايجزئه . .

قال في «النخبة»: محلُّ الرمْي هو الموضع الذي عليه الشاخص وماحوله لا الشاخص .

وقَدَّرُوا مجتمع الحصى بثلاثة ذرع ، فلو كان في الشاخص طاقٌ فاستقرت الحصاة فيه لم يُجْزِئْ وقال الشافعي رحمه الله : الجمرة مجتمع الحصى ، لا ماسال من الحصى ، فمن أصاب مجتمع الحصى بالرمي أجزأه ، ومن أصاب مسائل الحصى الذي ليس هو مجتمعه لم يُجْزِئْ ، والمراد مُجْتَمَع الحصى في موضعه المعروف والذي هو كان في زمن النبي ﷺ .

قال ابنُ حَجَرٍ الهيتمي : حَدَّدَهُ الجمال الطبريُّ بأنه ماكان بينه وبين أصل الجمرة ثلاثة أذرع فقط . وهذا من تفقهه وكأنه قرر به مجتمع الحصى غير السائل ، والمشاهدة تؤيده ، فإنَّ مجتمعه غَالِباً لاينقص عن ذالك وقال ابن حجر الهيتميّ أيضاً قولُ النووي : والمراد مجتمع الحصى المعهود الآن بسائر جوانب الحجرتين الأولتين ، وتحت شاخص جمرة العقبة هو الذي كان في عهده ﷺ .

وقال المحبُّ الطبريُّ : وليس للمَرْمَى حَدٌّ معلوم ، غير أن كل جمرة عليها عَلَمٌ وهو عمودٌ معلق هناك ، فَيُرْمَى تحته وحوله ، ولايبعد عنه احتياطاً . وحدَّهُ بعضُ

المتأخرين بثلاثة أذرع من سائر الجوانب ، إلا في جمرة العقبة فليس لها إلا جانب واحد ، لأنها تحت جبل .

وقال الشيخ منصور البهوتي : فظهر أن موضع الرَّمْي هو مجتمع الحصى ، لا ماسال منه ، ولا الشاخص ، كما نص عليه الشافعي رحمه الله تعالى .

وقال الشيخ سليمان بن علي : الْمَرْمَى الذي يترتب عليه الأحكام هو الأرض المحيطة بالميل المبني ، ولم أقف على حدٍّ ذالك هل هو ذراع أو أكثر أو أقل ، فلو طرح الحصاة على رأس البناء لا يُعْتَدُّ بِهَا ، لأنها لم تحصل بالمرمى ، هذا في الجمرتين أما جمرة العقبة فالذي يظهر لي ــ والله أعلم ــ أنَّ المرمى منها الأرض التي في أصل البناء ممايلي بطن الوادي ، فلو رَمَى ظهرها لم يُعْتَدَّ بِرَمْيِهِ . انتهى .

قال محرره عبدالله بن بسام : كأن الشيخ سليمان بن علي لم يطلع على أقوال العلماء التي نقلناها وغيرها .

وبعد : فما تقدم من النصوص في بيان وتحديد مكان رَمْيِ الجمرات منقول عن علماء مكة المكرمة ويلاحظ منه أمور :

أولاً : كان مَرْمَى الجِمار الثلاث غير مُحَوَّطٍ ، وكان الناس يرمون الحصى بأصل الشاخص ، وماقرب منه من الأرض ، والعلماء قد اختلفوا في قدر المرمَى فبعضهم يقدره إلى أصل الشاخص بثلاثة أذرع ، وبعضهم بأقل من ذالك ، والثالث منهم يرون أن الشاخص وأرضه ليسا من المرمى ، فلو تعلقت الحصاة في المرمى لم تُجْزِئْ ، ولو أُزِيل الشاخص فرمى مكانه لم تُجْزِئْ فبينهم في ذالك خلاف طويل جِداً ، لاسيما بين علماء الحنفية وعلماء الشافعية .

أما الحنابلة فلم نعثر لهم على تقدير وتحديد لموضع المرمى ، وإنما يتناقلون عبارة الشافعي المتقدمة .

قال الشيخ محمد شكري اسماعيل حافظ كتب الحرم المكي في رسالته «الأنهار الأربعة في مرمى جمرة العقبة» : الزحمة عند جمرة العقبة يلزم إزالتها بوضع شباك

حواليها ، هكذا أفتى كل من العلامة ابراهيم أدهم أفندي قاضي مكة المكرمة ، والفاضل إسحاق أفندي قاضي مكة المكرمة ، والفاضل إسحاق أفندي قاضي المدينة المنورة ، والشيخ الكامل أحمد أفندي الطاغستاني مدرس السليمانية ، والفاضل حسن أفندي مدرس الداوودية ، والمولوي عبدالحق من أكابر علماء الهند ، والفاضل محمد أفندي الشلياني المدرس بالحرم المكي ، وغيرهم من العلماء ، قال كل منهم يجب إزالة الزحمة بالشباك ، فَأُحْدِثَ في آخر شهر ذي القعدة من شهور السنة إحدى وتسعين ومائتين وألف شبَّاكٌ حَدِيْدِيٌّ والحامل لهم على ذالك دفعُ معظم زحمة الرامِيْنَ لجمرة العقبة ، لا لِتَحْدِيْدِ ذات ٱلْمَرْمَى ، ومساحةُ يسار ٱلْعَلَمِ إلى جهة مِنَى مابين ركن ٱلْعَلَمِ والشباك بذراع اليد أربعة أذرعٍ وخَمْسُ أصابع ونصفٌ ، ويمينه إلى جهة مكة مابين ركنه والشباك خمسة أذرع ، وأما من جهة الوادي ذراع واحدٌ وعشرة أصابع من جهة مكة ومنى ، ومابين طرفي الشباك مع إدخال مساحة ٱلْعَلَمِ فيه ثلاثة عشر ذراع ، وعَشْرُ أصابع ونصف ، فهذه حدود العلم إلى الشباك .

قال محرره ــ عبدالله بن عبدالرحمن البسام : وقد اعترض على إحداث هذا الشباك بعضُ العلماء ، وأشدهم إنكاراً له الشيخ علي بَاصَبْرَيْنِ ، عالم مدينة جُدَّةَ في زمنه فقال في رسالة له : إن المقصودَ من وضع ذالك الشباك رفعُ معظم زحمة الرامين ، وهو حسنٌ غير أنه بالتحويط بذالك الشباك وعلى مايعتبر فيه الرمي ومالا يُعْتَبَرُ يحصل إيهام العوام ، فيتوهمون أن جميع ما أحاط به ذالك مرمى ، وليس الأمر كذالك ، ودَرْأُ ٱلْمَفَاسد مُقَدَّمٌ على جلب المصالح ، فكان يتعين علَى فَاعِلي ذالك الشباك بالقصد الحسن أن يتداركوا رَفْعَ إيهام المفسدة الشرعية بأحد أمرين :

أحدهما : إحداث شبَّاك ثانٍ من حديد ، يكون بقدر منصوص المرمى المتفق عليه ، في عرض أساس العلم المبني ، والثلاثة الأذرع معتبرة من أساس ظاهر العلم إلى جهة الوادي .

الثاني : وضع دَكَّةٍ مرتفعة من حجر على المرمَى المذكور بخصوصه ، ليميز من

غيره مما أحاط به الشباك الحادث من الأرض التي لايجزئُ الرميُ فيها .

وإمَّا بإزَالَةِ هذا الشباك الحادث الموهم ، وإذَا لم يفعل شباكٌ ثاني يحيط بالمرمى المتفق عليه فقط لم يَخْلُ بقاؤُهُ على هذه الهيئة من إيهامِ مالا ينبغي ، فحينئذ يجب أن يُفْعَلَ شباكاً ثانياً (؟) ليتميز عن غيره ، ويندفع مايخشى من إيهام الشباك الأول .

قال محرره عبدالله بن عبدالرحمن البسام : بعد مناقشة طالت حول وضع هذا الشباك ، والتحقق أن وجوده يوهم بأن ماحواه كله مَرْمى ، أُزِيْلَ ، وأُحْدِثَ بدله بناءُ أحوَاضٍ حول الجمار الثلاث ، وذالك في السنة التي بعدها ، وهي سنة اثنين وتسعين ومائتين وألف . ويظهر لي من الرسالة والبحث والمناقشة أن أحواض الجمار لما بُنِيَتْ عام (١٢٩٢هـ) بُنِيَتْ بشكل واسع ، ثم اختصرت أحواضها على ماهي عليه الآن .

وأرى أن الواجِب هو إبقاء المشاعر على ماهي عليه بلا إحداثات فيها .

وكلمة الإمام مالك ــ رضي الله عنه ــ للخليفة كلمة جيدة حينما قال ياأمير المؤمنين : أخشى أن تتخذ الملوك بيت الله مَلْعَبَةً . فالأحداث في المشاعر سبب لاتخاذها من الولاة مَلْعَبَة .

نسأل الله تعالى أن يحفظ دينه ومشاعره ومقدساته آمين .

ثانياً : إن الشاخص الذي على الجمرات الثلاث كان موجوداً زمن النبي ﷺ . وقبله . قال أبو طالب في قصيدته اللامية وهو يعدُّ المشاعر المقدسة ويعظمها :

وبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوْا لَهَا يَؤُمُّونَ قَذْفاً رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ

ثالثاً : تقدير المرمى بثلاثة أذرع .

أما علماء القرن الرابع عشر الهجري فذكروا وجودَ هذا الحائط المُدَارِ على المرمى لأنهم ألفوا كتبهم بعد بنائه . قال ابراهيم رفعت في كتابه ــ «مِرْآة الحرمين» :

الجمار : هي حائط من الحجر ارتفاعه نحو ثلاثة أمتار ، في عرض نحو مترين ، أقيم على منطقة صخرية مرتفعة عن الأرض بنحو متر ونصف ، ومن أسفل هذا الحائط حوض من البناء تسقط إليه حجارة الرجم . انتهى .

وقال الشيخ عبده بن علي العمري الحضرمي في منسكه «دليل الطريق لحجاج بيت الله العتيق» الذي ألف كتابه عام ١٣٥٥هـ: المرمى هو المحل المبني فيه العلَم أي العمود ، وضبط بثلاثة أذرع من جميع جوانبه ، وقد حُوِّطَ الآن على هذا المقدار ، بجدار قصير فالرمي يكون داخله ، وهذا في غير جمرة العقبة ، أما هي فلها جهة واحدة ، وعليه دائرة أمامها فالرمي ويكون في وسط الدائرة تحتها . انتهى .

قلت أنا محرر هذه الأسطر عبدالله بن بسام : وقد أدركتُ جمرة العقبة وهي في سفح العقبة المذكور ، والجمرة في جهتها الغربية الجنوبية ، وقد أُزيلت العقبة المذكورة ، وجُعِلَ وَرَاءَ الجمرة مما يلي الشمال الشرقي قاعدة بناء لمنع الرمي من خلفها .

قال العالم المعاصر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر : قولهم : تُرْمَى جمرة العقبة من فوقها وذالك أن هناك عقبة معتلية في جانب الجمرة ، وقد أزيلت العقبة في زمننا هذا .

فما ذكره العلماء من رمي جمرة العقبة من فوقها إنما كان ذالك قبل إزالة العقبة التي في ظهر الجمرة المذكورة شمالاً شرقاً ، وكان إزالة العقبة في جمادى الأولى سنة ست وسبعين وثلاث مئة وألف هجرية .

وإزالة العقبة لصالح توسعة شوارع ، وذالك بموجب خطاب من رئيس القضاة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ جاء فيه :

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة المكرم رئيس الديوان العام الموقر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

بالإشارة إلى خطابكم رقم ٣١٧٥/٥/١٥ وتاريخ ١٣٧٥/٨/١١هـ حول توسيع ماحول جمرة العقبة نفيدكم أنه جرى الاطلاع على قرار رئيس المحكمة الكبرى بمكة بهذا الخصوص ، ونرى الموافقة عليه على أساس أن يكون الأخذ من الجبل المذكور الذي تستند إليه جمرة العقبة بطريقة التسهيل فقط ، على أساس أن لايُمَسُّ الشاخِصُ والحوضُ ومايليه ، ويكون الوصول إلى المرمى من تلك الجهة سَهْلاً ، وتبقى الجهة التي فوق المشعر المذكور ، مع العلم أن التسامح في التسهيل المذكور نظراً للحالة الحاضرة ، ووجود الزحام الذي ينشأ عنه ماينشأ من أضرار ، ولولا ذالك بقى كلُّ شيْء على ماكان عليه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تاريخ ١٣٧٥/٩/١هـ .

قال الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رئيس القضاة في خطاب له وجهه إلى أمير مكة المكرمة بتاريخ ١٣٨٣/٧/٢هـ عند الكلام على جمرة العقبة :

بتعيين إبقاء المرمى ــ وهو الحوض ــ على ماكان عليه ، فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ، بل يبقى حسب حالته السابقة كنصف دائرة ، والشاخص في جانبها الشمالي . أما الشاخص فيبقى على حالته قائماً ملاصقاً لجدار الجمرة الشمالي .

وينبغي أن يكون إصلاح ماذكر بحضرة مندوبٍ من قبلنا ، لإيضاح معنى ماقررناه ، وتطبيق ماتضمنته الفتوى والسلام عليكم .

وقد بحث موضوع أحواض الجمرات في مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية فأصدر فيه القرار : قرار رقم (١٢٧) في ١٤٠٥/٦/٢٩هـ :

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين . وبعد فإن مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الخامسة والعشرين المنعقدة بمدينة الرياض في الفترة من ١٤٠٥/٦/١٨هـ إلى ١٤٠٥/٦/٢٩هـ .

قد نظر في موضوع توسعةجوانب دوائر الرجم العلوية في الجمرات ، وإنشاء مستودعات أرضية لاستيعاب الحصى ، وذالك بناء على كتاب المقام السامي رقم

٢٣٧/٤/م في ١٤٠٥/٢/١٤هـ وقد اطلعت الهيئة على البحث الذي سبق أن أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في موضوع الجمرات ، وعلى قرار المجلس رقم (١٢) في ١٣٩٣/٤/١٦هـ وبعد المناقشة وتداول الرأي ، قرر المجلس ــ بالأكثرية إبقاء ماكام على ماكان ، وعدم إحداث شَيْءٍ مما ذكر ، سواء عمل مستودعات لحصى الجمار تحت حوض كل جمرة ، أو توسعة جوانب جدار دوائر الرجم من أعلى . ومعلوم أن الحصى متى وصل إلى الحوض أجزأ ، ولو لم يستقر فيه ، وتدحرج وسقط خارجه ، وفي الإمكان تخفيف حصى الجمار المتجمع في الأحواض وحولها في جُزْءٍ من آخر الليل ، لقلة الناس في ذالك الوقت . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وبعد أن كَثُرَ الحجاج واشتد الزحام على الجمرات فكَّر المسؤولون بإنشاء دورتين للجمرات .

فسئل الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رئيس القضاة عن ذالك فأجاب بما يلي :

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة معالي وزير الحج والأوقاف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ــ

وبعد ــ اطلعنا على خطابكم رقم ١/١٦٦٧ في ١٣٨٢/٤/١١هـ حول إنشاء دورتين للجمار الثلاث ، كما اطلعنا على صورة الخرائط والمواصفات التي وضعت لهذا المشروع . ونفيدكم أننا لانرى مانِعاً من ذالك بشرط الإتيان على الغرض المقصود والخُلُوِّ من أيِّ مَحذور شرعيّ ، وفق الله الجميع ، وجعل هذا العمل نافعاً . والسلام عليكم .

التاريخ ١٣٨٢/٦/٢٥هـ .

البِنَاء في مِنَــى :

من محمد بن ابراهيم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك سعود بن عبدالعزيز

حفظه الله .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ــ اطلعت على خطاب الشيخ حمود التويجري لجلالتكم المؤرخ في ١٣٧٦/١١/٩هـ المتضمن النصيحة حول البناء في منى .

والحقيقة ــ حفظكم الله ــ أن ماذكره هو عين الصواب .

وكما أنَّ المسجد الحرام لايجوز لأحد أن يَبْنِيَ فيه منزلاً فهذا المشعر كذالك ، ومن استولى على شيء منه تَمَلُّكاً وصلى فيه فصلاته غير صحيحة ، لأنه صلَّى في مكان غصب فالله الله ياإمام المسلمين في كفِّ هذه الأيدي الغاصبة عن هذا المشعر الذي هو موضع العبادة الخاصة إلى يوم القيامة ، واغتصاب شيء منه أعظم من اغتصاب أملاك المسلمين المحترمة .

مقام ابراهيم :

قال الشيخ محمد بن ابراهيم : مقام إبراهيم عليه السلام كان في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وبعض خلافة عمر رضي الله عنهما في سفح البيت ثم أَخَّرَهُ عمر أول مرة مخافة التشويش على الطائفين ، وردَّه المرة الثانية حين حمله السيل إلى ذالك الموضع الذي وضعه فيه أول مرة .

ومادام الأمر كذالك فلا مانع من تأخير المقام اليوم عن ذالك الموضع إلى موضع آخر في المسجد الحرام يحاذيه ويقرب منه ، نظراً إلى ماترتب اليوم على استمراره في ذالك الموضع من حَرَج أشدَّ على الطائفين من مجرد التشويش عليهم ، الذي حمل ذالك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أن يؤخره من الموضع الذي كان فيه في عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وصدر خلافة عمر .

وبتأخيره نكون مقتدين بعمر بن الخطاب المأمورين بالاقتداء به ، ونرفع الحرج من ناحية أخرى عن الأمة المحمدية التي دلت النصوص القطعية على رفع الحرج عنها .

قال العلماء الآتية أسماؤهم :

أما تنحيةُ مقام إبراهيم عن موضعه الآن شرقاً مساحة ليتسع المطاف فحيث توقف بعض المشائخ في ذالك اتفق الرأي من الجميع على اختصار هذا الهيكل الذي على المقام الآن بِجَعْلِهِ متراً في متر فقط ، والباقي يبقى توسعة في المطاف فيكون من المطاف من وجه ، وزيادة في مصلى الركعتين من وجه آخر ، إذا فقدت الزحمة صارت صلاة الركعتين فيه وفيما خلفه من المصلى الأول ، وإذا وُجِدَتِ الزحمة انشغل هذا الزائد بالطائفين ، وصلى المصلون ركعتي الطواف خلفه .

محمد بن ابراهيم آل الشيخ ــ عبدالملك بن ابراهيم آل الشيخ ــ عبدالعزيز ابن باز ــ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر ــ عبدالله بن عمر بن دهيش ــ حسن ابن عبدالله آل الشيخ ــ عبدالعزيز بن ناصر بن رَشيد ــ عَلَوي عباس مالكي ــ محمد بن علي الحركان ــ عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ ــ أمين كتبى ــ محمد يحيى أمان ــ تاريخ الخطاب المرفق بهذا القرار في ٢/١/١٣٨٠هـ .

عَرْض المَسْعَى :

هذه فقرات مقتطفة من قرار الهيئة العلمية الآتية أسماؤهم :

جرى البحث فيما يتعلق بتحديد عرض المسعَى ، فجرت مراجعة كلام العلماء : لم نجد للحنابلة تحديدا لعرض المسعى .

وقال النوويُّ في «المجموع»: قال الشافعي والأصحاب : لايجوز السعي في غير موضع السعي ، فلو مَرَّ وراءَ موضعِ السعي لم يَصِحَّ سعيه ، لأن السَّعْيَ مُخْتَصٌّ بمكانٍ فلا يجوز فعله في غيره كالطواف .

قال الشافعي في القديم : فَإِنِ ٱلْتَوَى يَسِيْراً أجزأه ، وإن عدل حتى يفارق الوادي المؤدي إلى زقاق العطَّارِيْن لم يَجُز .

وقال الرفاعى : إِنِ ٱلْتَوَى في السَّعْيِ يسيرا جاز ، وإن دخل المسجد أو زقاق العطَّارِيْن فلا ، والله أعلم .

وقال الرملي الشافعي : لم أَرَ في كلامهم ضَبْطَ عَرْضِ المسعى ، وسكوتهم عنه لعدم الاحتياج إليه ، فإن الواجب استيعابُ المسافة التي بين الصفا والمروة كلها ، ولو ٱلْتَوَى في سعيه عن محلِّ السعيِ يَسِيرا لم يَضُرَّ كما نص عليه الشافعي رضي الله عنه .

وقال في «تحفة المحتاج» : الظاهر أن التقدير لعرضه بخمسة وثلاثين أو نحوها على التقريب ، إذْ لا نصَّ فيه يُحْفَظُ من السنة ، فلا يضر الاٱلْتِواء اليسير بخلاف الكثير ، فإنه يخرج عن تقدير العرض ولو على التقريب .

وقال الأزرقي : وذرع مابين ٱلْعَلَمِ الذي علي جانب باب المسجد إلى العَلَمِ الذي بحذائه على باب دار العباس بن عبدالمطلب وبينهما عرض المسعى خمسة وثلاثون ذراعاً ونصف ذراع . انتهى .

وحيث أنَّ الحال ماذكر بعاليه ونظراً إلى أنه في أوقات الزحمة عندما ينصرف بعض الجهال من أهل البوادي ونحوهم من الصفا قاصداً المروة يَلْتَوِي كثيراً حتى يسقط في الشارع العام فيخرج من حدِّ الطول من ناحية (باب الصفا) والعرض معاً ويخالف المقصود من (البَيْنِيَّةِ) بَيْنَ الصفا والمروة ، وحيث أن الأصل في السعي عدمُ وجود بناءٍ ، وأن البناء حادثٌ قديماً وحديثاً ، وأن مكان السعْيِ تَعَبُّدِيٌّ ، وأن الاِلْتِوَاءَ اليسير لا يضرُّ لأنَّ التحديد المذكور بعاليه تَقْرِيْبِيٌّ بخلاف الاِلْتِوَاءِ الكثير كما تقدمت الإشارة إليه في كلامهم فإننا نقرر مايلي :

أولاً ــ لابأس ببقاء ٱلْعَلَمِ الأخضر الذي بين دار الشيبي ومحل ٱلْأَغْوَاتِ ، ولابأس من السعي في موضع دار الشيبي ، لأن مساحتها في بطن الوادي بين الصفا والمروة ، على أن لايتجاوز الساعي ماكان بين الميل والمسجد ، ممايلي الشارع العام ، وذالك للاحتياط والتقريب .

ثانياً ــ إننا نرى عرض كل ماذكرناه على سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن ابراهيم حفظه الله تعالى ــ . ←

كتاب وملاحظات :

ـ ١ ـ

صناعة الكتابة عند ضياء الدين بن الأثير

تأليف دكتور عبدالواحد حسن الشيخ (كلية التربية ـ جامعة الاسكندرية) ، اسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع ، مطبعة الإشعاع الفنية ، ١٩٨٦ ـ ١٢٤ ص .

١ ـ مع الاعتذار إلى الدكتور المؤلف . . . أُسَائِلُ عن السبب الذي يدفَعنا في هذه الأيام إلى التأليف ، وإلى الإسهاب ، والإطالة فيما حَقُّهُ الإيجاز والتَّقْصِير ؟ لماذا نجْعل مايجب أن يُكْتَبَ في خمس صفحات أو عشر ـ على أكثر تقدير . . كتاباً في مئة صفحة أو مئتين ؟ ـ ولا أطيل ! إن كثيراً من رسائل (الماجستير) و(الدكتوراه) يبلغ مئات الصفحات ، ولو التزمنا المنهج لجاء بحوثاً محدودة الصفحات بعشرين أو ثلاثين أو بخمسين لدى المتسهل ! .

٢ ـ قال المؤلف ص ١٦ : (إن كل من تناول ابن الأثير بالبحث والدرس نِسي أو تناسى ذكر طفولة ابن الأثير وصباه حتى شَبَّ عن الطوق ، وبلغ الحادية والعشرين) وينتظر القاريء من المؤلف ذكراً لطفولة ابن الأثير وتفصيلاً وجديداً . . . ولكن القاريء لايجد ماانتظر .

الهيئة : عَلَوِي بن عباس مالكي ـ عبدالملك بن ابراهيم ـ عبدالله بن دُهَيش .

جلالة الملك المعظم ـ من خصوص قرار الهيئة في حدود المسعى قد اطلعنا عليه فوجدناه صواباً حفظكم الله . محمد بن ابراهيم في ٢٣/١٠/١٣٧٤هـ .

مكة المكرمة : عبدالله بن عبدالرحمن البسام

قاضي محكمة التميز بمكة المكرمة

وعضو مجمع الفقه بجدة

٣ ــ ص ٢٠ : (سوق الكتابة رائج) هكذا جاءت السوق على التذكير ، ولابأس في ذالك . فالسوق تؤنث وتذكر أو تذكر وتؤنث ، مُصَغَّرُها سُويقة . وأحسب أن التأنيث أفصح ، و(هَلْ بَارَتْ بِكِ السوق) ؟

٤ ــ ص ٢٣ : قال ابن الأثير في «الجامع الكبير» (. . . احتجت حين شدنت نبذة من الكلام المنثور إلى معرفة هذا المذكور [يقصد تأليف الكلام الذي لايعرف كنه أمره إلاَّ بالاطلاع على علم البيان] فشرعت عند ذلك في تطلبه ، والبحث عن تصانيفه وكتبه. . .) .

قال المؤلف تعليقاً على (شدنت): (القياس يقتضي شدوت بدل شدنت) ولم يوضِّح قصده ، وأحسب أنه يريد أن يقول: شدوت أولى بمبتدئٍ في صناعة تأليف الكلام ، أما شدنت فهي خطوة متقدمة ، جاء في المعجمات (شدن الغزال من باب دخل وهو شادِنٌ ، إذا قوي وطلع قرناه ، واستغنى عن أمه) ، وإلاَّ فلا فرق ، أو أن الفرق ضئيل ، ولم يكن ابن الأثير شادِياً أو شادناً حين استخدم الكلمة .

٥ ــ ص ٢٥ (يهيِّئ نفسه لما يصبوا إليه) : يَصْبُو .

٦ ــ ص ٢٨ : (مما قيل عن «المثل السائر» قول ابن العماد الحنبلي عنه : (وهو ــ أي المثل السائر ، في مجلدين ، جمع فأوعى ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلاَّ ذكره ، ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ، ومحاسنه كثيرة) ــ «شذرات الذهب» ج ٥ ص ١٨٨ ــ ويكمل هذه العبارة المقتضبة ابن خلكان فيقول: (ولما فرغ من تصنيفه كَتَبَه الناس عنه ، فوصل إلى بغداد نسخة منه . . .) ــ «وفيات الأعيان . . .» .

وفي هذا أكثر من (مؤاخذة) منهجية . . .

الأولى: أننا لا نقدم المتأخر على المتقدم . لقد توفى ابن العماد الحنبلي سنة ١٠٨٩ ، وتوفي ابن خلكان سنة ٦٨١ .

الثانية : معروف جداً أن ابن العماد الحنبلي عِيَالٌ في كتابه على ابن خلكان . . .

الثالثة : أنَّ هذا الذي نقله المؤلف عن ابن العماد الحنبلي على أنه لابن العماد الحنبلي لم يكن لابن العماد الحنبلي وإنما هو لابن خلكان ينقله ابن العماد الحنبلي . ولا ندعو في بيان هذا إلى مقابلة بين الكتابين وإنما نرجع إلى «شذرات الذهب» نفسه (ص ١٨٨) لنقرأ في وضوح : (وقال ابن خلكان (. . .) ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله كتابه الذي سماه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» وهو في مجلدين ، جمع فيه فأَوْعَى ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة إلَّا ذكره ، ولما فَرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه ومحاسنه كثيرة . . . انتهى ملخصاً) .

الأمر واضح ، وهو يدعو إلى مؤاخذة ثالثة ــ هي أننا ــ في منهج البحث ــ لانفضل الملخص على الأصل ، وبسبب من التلخيص أهمل ابن العماد الحنبلي من كلام ابن خلكان قوله : (ولما فرغ من تصنيفه كتبه الناس عنه فوصل إلى بغداد منه نسخة . . .) .

ومن لايصدق فليرجع إلى «وفيات الأعيان» لابن خلكان ــ حرف النون : نصر الله . . .

٧ ــ ص ٤١ : (وكان هذا أمراً مقروراً معروفاً . . .) لعله يريد : مقرَّراً .

٨ ــ ص ٥٩ : (وجدناه غيوراً على الكتابة زائداً عن حوضه ، السائمة والهائمة . . .)

زائداً : ذائداً ــ وهي من معايب اللهجة المصرية (القاهرية خاصة) عندما تطغى فتقلب ــ لدى اللفظ ــ الذال زاياً ، ويجور اللفظ على الكتابة !

٩ ــ ص ٣٠ : (أما كتابه (. . .) «الوشي المرقوم في حل المنظوم» فإنه كتاب صغير الحجم يقول عنه صاحب «مرآة الجنان» : ــ وهو (. . .) مع وجازته في

غاية الحسن والإفادة) ــ «مرآة الجنان» جـ ٤ ص ٩٧حوادث سنة ٦٣٧هـ وانظر «وفيات الأعيان» جـ ٥ ص ٣٩٢ .

أ ــ إن مؤلف «وفيات الأعيان» أسبق من مؤلف «مرآة الجنان» . توفي مؤلف «وفيات الأعيان» سنة ٦٨١ وتوفي مؤلف «مرآة الجنان» سنة ٧٦٨ .

ب ــ إن مؤلف «وفيات الأعيان» هو الذي احتفل بابن الأثير في ترجمته والكلام على مؤلفاته كلام من رأى وقرأ ووعى . أما مؤلف «مرآة الجنان» فهو بعيد عن ابن الأثير ، ولم يكن من همه ترجمته وإنما هو يذكر كلمات وسطوراً عابرة . . . ، وهو يفيد من غيره ، ومن هؤلاء (الغير) مؤلف «وفيات الأعيان» .

جـ ــ وصف «الوشي المرقوم» الذي نقله المؤلف عن صاحب «مرآة الجنان» ورد من قبل أكثر من قرن عند صاحب «وفيات الأعيان» في الترجمة (المحترمة) التي عقدها على ابن الأثير (نصر الله) فقال : (وله كتاب «الوشي المرقوم في حل المنظوم» وهو مع وجازته في غاية الحسن والإفادة) .

د ــ نبحث في قائمة المؤلف للمراجع ، عن مؤلف «مرآة الجنان» فنكاد نفتقده لأنه أورده في حرف العين (عبدالله بن أسعد اليمني) فلم يرسمه باسمه على حين بدأ ــ وسار ــ يرسم المؤلفين على شهرتهم : ابن الأثير ، ابن خلكان ، ابن الوردي . . . ؟ ثم إن مؤلف «مرآة الجنان» معروف جيِّداً لدى الباحثين باليافعي ، فحقه على هذا أن يرسم باليافعي ، ويأتي في حرف الياء .

١٠ ــ وشيٌء آخر هو أن المؤلف يحيل خلال البحث على أسماء الكتب ، حتى إذا جاء إلى قائمة المصادر نظمها ــ مع اضطراب ملحوظ ــ على أسماء المؤلفين وهذا غير جائز في منهج البحث .

ومن الاضطراب ــ مثلاً ــ أنه يحيل في درج البحث على (ابن العماد الحنبلي) ولكنه وضعه في «القائمة» باسم «عبد الحي» إن لقائمة المصادر أصولاً !!

بغداد/د. علي جواد الطاهر

من تاريخ المنطقة الشرقية :

ـ ٢ ـ

بداية العصور التاريخية

لقد حددت عصور ماقبل التاريخ بمنتصف القرن الخامس قبل الميلاد ، حين ظهرت بواكير الكتابة التاريخية على أيدي المؤرخين الإغريق ، ووصل لنا أول كتاب تاريخي ، لمؤلفه الرحالة الشهير هيرودتس[١]، وقد اكتسب هذا الكتاب أهميةً بالغة ، لاتصافه بالشمولية والطابع العالمي[٢] بعد أن كانت الكتابة التاريخية مقصورة على نبذٍ موجزة من حوليات الملوك وفتوحاتهم ومعاهداتهم وتسلسل أنسابهم ، أو على ذكر الأهداف والوقائع ذات اللون المحلي .

ولقد استطاع أمثال هذا المؤرخ ومن أتى بعده أن يسجلوا تفاصيل الأحداث التي وقعت خلال الألف الأول قبل الميلاد ، لقرب عهدهم بها ، فتوفرت لنا معلومات عن أحوال تلك الدول والأمم التي عاشت خلال تلك الحقبة . كما أخذت معلومات مؤرخينا العرب عن هذه الفترة تقترب من الصحة ، بعد أن كانت مغرقة بالأخبار المصطنعة والقصص الاسرائيلية .

فبفضلهم تم لنا التعرف على الكثير من أخبار الدولة الكلدانية الثانية (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق.م) التي قامت في بابل بقيادة نبوخذ نصر[٣]، فحدثونا عن غزواته ، واحتلاله مملكة يهوذا[٤] وأسر اليهود ، وتدميره عاصمتهم أورشليم ، وتنشيطه الملاحة والتجارة في الخليج العربي ، كما حدثونا عن الدولة الأخمينية الفارسية (٥٦٢ ـ ٣٣١ ق.م) التي أسسها قورش (٥٦٢ ـ ٥٢٩ ق.م) ، وهي أول امبراطورية فارسية ظهرت إلى الوجود ، فبسطت نفوذها على العراق وسوريا وفلسطين ومصر ، وقد سجل هيرودتس علاقة العرب بهذه الدولة ، ومساعدتهم لها في غزو مصر في عهد قمبيز (٥٢٩ ـ ٥٢١ ق.م) ، إلا أن المؤرخين يجمعون بأن العرب لم يخضعوا لهذه الدولة ، وإنما كانوا يرتبطون معها بحلف صداقة

وجوار ، وقد سيطر الفرس على الخليج في هذا العهد ، فحـولوه إلى بحيرة داخلية ، خوفاً من تعرُّض مقاطعاتهم البحرية للتدمير على يد أسطول أجنبي ، فمن ثمَّ حولوا طرق التجارة إلى مياه البحر الأحمر ، وهذا السبب الذي دعاهم إلى التفكير في إحياء مشروع حفر قناة تربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر عن طريق نهر النيل[٥] ، فقام داريوش (دارا ٥٢٦ ــ ٤٨٥ ق.م) بتنفيذ حفرها[٦] ، واستطاع أن يسيِّر السفن من مصر إلى فارس عن طريق البحر الأحمر والبحر العربي والخليج ، وقضى بالتالي على النشاط التجاري المزدهر في الخليج وموانئه العربية[٧].

وقد تنفست الصعداء هذه المنطقة حين اكتسح الأسكندر المقدوني[٨] تلك الدولة عام ٣٣١ ق.م ، وقضى على ذالك الكابوس ، فازدهر اقتصادها ، وانتعشت الحركة التجارية في مَوَانِئِهَا ، وقد استرعى اهتمام الأسكندر موقعها الاستراتيجي ، فقرر ضمها إلى امبراطوريته ، باعتبارها مفتاح تجارة الشرق ، ومصدر التوابل والعطور ، وحين أشير عليه بصعوبة فتحها من ناحية البر ، قرر أن يوجّه لها حملة بحرية ، لفتح موانِئِها ومدنها الساحلية ، وقد مهد لذالك بإرسال بعثات استكشافية تقوم بجمع المعلومات ، بدءاً من الخليج العربي ومروراً بالبحر العربي والبحر الأحمر حتى خليج العقبة ، فبعث ثلاثة من قواده البحريين لهذه المهمات الاستطلاعية ، كان على رأس احداها ارشياس Archias الذي بلغ جزيرة تيلوس (البحرين) ولم يتجاوزها ، وعلى رأس الثانية اندروستين Androsthene الذي أمره بالاتجاه بمحاذاة الساحل ، فبلغ ناحية أبعد مدى ، أما الثالثة فكلف بها هيرون Hieron للطواف حول شبه جزيرة العرب ، حتى يصل إلى مدينة هيربوليس Heroopolis قرب قناة السويس ، ولكنه توقف حين بلغ رأس مسندم Maketa ولم يتجاوزه ، كما يقول المؤرخون ، ويقال : إنه عاد فأخبر الأسكندر بما حصل عليه من معلومات ، وبما يتطلبه المشروع من جهود[٩].

ويبدو أن مهمة الأول كانت تقتصر على اكتشاف جزر الخليج ، ومهمة الثاني على التعرف على الموانِيء والمدن ، ودراسة سكانها العرب وتقاليدهم وعاداتهم

وأحوالهم . أما الثالث فيظهر أن مهمته تتركز على اكتشاف الطريق البحري والموانيء الصالحة والمياه ودراسة الأنواء ، بدءاً من الخليج ثم البحر العربي والبحر الأحمر .

وبينما كان الأسكندر يعد العدة لبناء الأسطول الضخم في بابل وتجهيز الحملة العسكرية وإنشاء المدن الساحلية كمدينة كراكس[١٠] وبناء القواعد العسكرية في جزيرة ايكاروس (فيلكا) وغيرها ، ليجعلها منطلقاً لقواته البحرية فَاجَأَتْهُ المنية ، فتوفى ببابل عام ٣٢٤ ق.م وبعد وفاته تنازع قواده تركة الامبراطورية الواسعة العظيمة التي خلفها بدون وصاية ، فصرفتهم خلافاتهم عن التفكير في تنفيذ خططه ، فتبخر المشروع .

خلال هذه الفترة التي انحسر فيها ظل السيطرة الأجنبية ، بعد القضاء على الدولة الاخمينية الفارسية ، وقيام ملوك الطوائف ، وانشغال قواد الاسكندر بالتنازع فيما بينهم[١١] تمتعت هذه المنطقة بالحرية الاقتصادية فازدهرت تجارتها ، وانتعش اقتصادها ، حتى صارت مضرب المثل في الغنى والثروة ، وكانت مدينة الجرهاء[١٢] (الجرعاء) في مقدمة بلدان الخليج ، التي تركزت فيها حركة الاستيراد والتصدير ، فكانت ملتقى القوافل القادمة من اليمن والحجاز والشام والعراق ، كما كانت سوقاً من أسواق التجارة البحرية ، تستقبل البضائع الواردة لها من الهند وافريقيا وجنوب الجزيرة العربية ، وتعيد تصديرها بواسطة القوافل عن طريق تيماء والبتراء وغزة ومصر ، وموانيء البحر الأبيض المتوسط[١٣].

وقد اكتسبت هذه المدينة شهرة واسعة ، وذاع خبر ثراء أهلها وغناهم وبذخهم ، فوصفهم استرابون بأنهم أغنى العرب ، يتمتعون بألوان الترف والرخاء ، فيكثرون من آنية الذهب والفضة والفرش الثمينة ، ويزينون جدران منازلهم وسقوف أبنيتهم وأبواب غرفهم بالذهب والفضة والعاج والأحجار الثمينة الغالية ، وهذا الشيء الذي أثار الطمع في نفس انطيوخس الثالث السلوقي ، وجعله يقود أسطوله عام ٢٠٥ ق.م للاستيلاء على هذه المدينة الغنية ، بعد عودته من حملته على الهند وتقول الرواية : إنه نزل بأرض الخط Chattenia وأن الجرهائيين

المسالمين انتدبوا له بعثة تفاوضه ، وتحمل معها رجاءهم بأن لا يحرمهم من نعمتين عظيمتين أنعمتهما الآلِهَةُ عليهم، وهما نعمة السلام ونعمة الحرية ، فصالحهم على أن يدفعوا له جزية سنوية كبيرة ، تتألف من الفضة واللبان وزيت مصنوع من البخور ، وعاد أدراجه ، حيث أبحر إلى جزيرة تيلوس ، ومنها إلى سلوقيا .

ويبدو أن ازدهار هذه المدينة وغيرها من موانيء الخليج استمر إلى عهد توغل الرومان في جنوب شبه الجزيرة العربية وسيطرتهم على موانِئِهَا ، حيث قاموا بتحويل طرق التجارة إلى مياه البحر الأحمر ، فانتهى الدور الذي كانت تلعبه كوسيط للتجارة العالمية ، ولاننسى أن لقطاع الطرق من البداة الذين تفاقم وجودهم في هذه المنطقة أخيراً دور خطير في زعزعة الأمن وشل حركة التنقل لقوافل التجارة ، وهذا كله أدى إلى فقدانها مركزها التجاري والقضاء على أهميتها الاقتصادية ، ومنذ ذالك الحين لم نسمع لها ذكراً في كتب التاريخ .

خلال الفترة التي امتدت من عام ٤٦ ق.م وحتى عام ٢٢٦ م ، والتي اشتد فيها الصراع بين الدولة البرثية[١٤] وبين الرومان وانشغال كل منهما بحروبهما مع الأخرى حدث انفراج في الوضع الاجتماعي والسياسي في المنطقة ، نتيجة الفراغ الذي كانت تملؤه الهيمنة الأجنبية ، فتقاطرت عليها القبائل العربية ، وبسطت سيادتها عليها ، فيحدثنا الطبري وابن الأثير[١٥] أن بني معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب حين كثروا وضاقت بلادهم (تهامة) عن استيعابهم ، وفرقتهم الحروب قدمت منهم قبائل ونزلوا البحرين أيام ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر المقدوني ، وفرق البلدان فيما بينهم بعد مقتل دارا (داريوش الثالث آخر ملوك الدولة الأخمينية) ، وكان بالبحرين جماعة من الأزد استوطنت البلاد قبلهم ، ومن بين تلك القبائل القادمة قبيلة قضاعة ، ويتزعمها مالك وعمرو ابنا فهم ومالك بن زهير ، وقبيلة قنص ويرأسها الحيقار بن الحيق ، ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمثان وصُبْحُ بن صُبَيْحِ بن الحارث في قبيلة إياد ، وانضم إليهم جماعة من قبائل العرب ، فعقدوا بينهم حلفاً ، وتعاقدوا على التناصر والتآزر فيما بينهم ، وتحالفوا على التنوخ (أي المقام) ، فعرفوا باسم

(تنوخ) ، وكأنهم قبيلة واحدة ، وصاروا يداً على الناس ، ثم انضم إلى الحلف جذيمة الأبرش زعيم الأزد ، بدعوة من مالك بن زهير القضاعي الذي صاهره وزوجه أخته لميس ، فتوثقت الروابط بين تلك القبائل العربية ، فتمت لها السيادة على بلاد البحرين .

وفي الأثناء قدمت قبائل بني عبدالقيس من تهامة بزعامة عمرو بن الجعيد المعروف بالأفكل ، إلى بلاد البحرين ، فتصدى لها جمع من قضاعة وإياد لطردها من أراضي المنطقة ، فحملت إياد على شَنَّ إحدى قبائل بني عبدالقيس ، التي يرأسها سعد السعود الشني ، وفتكت بها فتكاً ذريعاً ، حتى كادت أن تفنيها ، غير أن حشوداً من عبدالقيس هبت لنصرتها فحملت على قضاعة ، فهزمتها شرّ هزيمة ، ثم مالت على إياد ، فأصلتها قتلاً ذريعاً ، وألحقت بحلف تنوخ هزيمة منكرة ، حيث انسحبت فلولهم ليلاً إلى العراق ، ومنذ ذالك الحين تصدع حلف تنوخ في بلاد البحرين ، ولم يبق منه إلا قبيلة إياد التي تفردت بالسيطرة على البلاد ، وقد استطاعت قبيلة عبدالقيس التغلب عليها أخيراً بعد حرب ضروس ، أسفرت عن هزيمتها وجلائها من المنطقة ، حيث تمت لقبيلة عبدالقيس السيطرة على بلاد البحرين .

وحين ضعفت الأمبراطورية الرومانية ، وسادتها الفوضى والحروب الأهلية ، عقب انتهاء حكم أسرة سيفروس سنة ٢٣٥م[١٦] تهيأت الفرصة لأردشير بن بابك عام ٢٢٦م[١٧] أن يقضي على الدولة البرثية وعلى ملوك الطوائف ، ويوحّد ايران ، ويؤسس الدولة الساسانية القوية ، التي أصبحت منافسة للامبراطورية الرومانية ، تتقاسم معها النفوذ على الأرض العربية ، فكانتا تشكلان معسكرين شرقي وغربي ، كما هو شأن عالم اليوم .

ويحدثنا الطبري أن أردشير بن بابك غزا بلاد البحرين ، فحاصر ملكها سنطرق فلم يستسلم ، وأصر على المقاومة ، حتى أنهكه الجهد ، فرمى بنفسه من أعلا الحصن فهلك[١٨].

وكان للصراع بين الدولتين العظيمتين الساسانية والرومانية[١٩] تأثير كبير على

الأوضاع السياسية في المنطقة العربية ، فحينما تستفحل الاضطرابات الداخلية في أحديهما، أو تنشغل بالحروب مع غريمتها تنفرج الضغوط عن المنطقة . وهذا ماحدث بالفعل حينما سادت الاضطرابات بلاد فارس على أثر وفاة هرمز الثاني (٣٠٢ ــ ٣٧٩ م) ، الذي ترك وصاية العرش لجنين في رحم أمه ، وأدّى ذالك إلى البلبلة والفوضى ، والتناحر بين الرؤساء ورجال الجيش ، وقد استطاعت الدولة اللخمية خلال تلك الفترة بقيادة امرئ القيس بن عمرو بن عدي الملقب بالبدء (٢٨٨ ــ ٣٢٨ م) أن توسع رقعتها حتى شمل نفوذها معظم شبه الجزيرة العربية .

وفي هذه الفترة أيضاً تحركت قوات شمر يهرعش (٢٧٠ ــ ٣٠٠ م) أحد ملوك اليمن ، الملقب بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت ، فزحفت إلى الشمال لرد اللخميين على أعقابهم الذين بلغوا حدود نجران فتوغلت في شبه الجزيرة العربية ، كما قامت مفرزة من تلك القوات بالزحف على هذه المنطقة ، التي كانت خاضعة لنفوذ الفرس ويحدثنا النص المعروف لدى العلماء بـ (شرف الدين ٤٢) أن الملك شمر يهرعش أمر قواته بغزو أرض (ملك) مالك (أسد) فتقدمت نحوها واتجهت نحو أرض قطوف أي القطيف ، حتى بلغت موضع (كوكبن) (كوكب)[٢٠] ثم (ملك فارس وأرض تنخ) (ملك الفرس) أي الأرض التابعة للفرس وأرض تنوخ . وقد دون هذا النص قائدان من قواد شمر يهرعش ، وذالك بعد عودتهما سالمين غانمين من ذالك الغزو[٢١].

كما أدت ضعضعة هيبة الدولة الساسانية إلى أن تتجرأ عليها سكان المستعمرات فتغزوها في عقر دارها ، وبالفعل اهتبلت الفرصة جموع من بني عبدالقيس وإياد وتميم فعبروا الخليج إلى الأراضي الفارسية ، واستولوا على سواحل ايران ، وغلبوا أهلها على مواشيهم ومعايشهم حيناً من الزمن .

وقد تركت هذه الأعمال أبعاداً سيئة من الضَّغينة والحقد في نفسية سابور الثاني (٣١٠ ــ ٣٧٩ م) الملقب بذي الأكتاف ، فحين بلغ أشده وتسلم مقاليد الحكم وقيادة الجيش قام بحملته الانتقامية الشهيرة على بلاد العرب وقد بدأ بالعرب

القاطنين بالسواحل الايرانية ففتك بهم ، ثم عبر الخليج وداهم مدينة الخط ، فقتل كثيراً من أهلها كما أفشى القتل في سكان هجر ، ثم عطف على بلاد عبدالقيس فأباد أهلها إلا من هرب منهم فلحق بالرمال ، وتتبع بني تميم فأمعن في قتلهم ، وتوغل في جزيرة العرب ، وعمد إلى طم المياه وردم الآبار ، وقتل كل من وجده من العرب ، فكان ينزع أكتافهم ويمثل بهم ، وكان لشناعة هذه المثلة أثر سيء في نفوسهم ، فمن ثم لقبوه بذي الأكتاف[٢٢].

ثم قام بعمليات إجلاء وتهجير لتلك القبائل تأديباً لها ، وضماناً لعدم قيامها بغارات على الحدود ، كنوع من فرض الاقامة الجبرية والمراقبة ، فأسكن بني تغلب دارين والخط وسماهيج[٢٣] ، وبني عبدالقيس وتميم بلاد هجر ، وبكر بن وائل كرمان ، وإياد وبني حنظلة الأهواز كما أنشأ أسطولاً قوياً لحماية الثغور والشواطىء لاستخدامه في الأعمال التجارية ، وقد ساهم أهل الخليج في النشاط التجاري ونقل البضائع مابين الهند وسيلان وجزيرة العرب والعراق[٢٤].

وقد خضعت هذه المنطقة للحكم الفارسي حتى دخولها في الإسلام ، فكان يحكمها ولاة من الفرس ، وأحياناً يعيّن إلى جانبهم أمراء محليون ، غير أن السلطات العليا تتركز بيد الوالي الذي يسمى (مرزبان) ، وكانت المنطقة مقسمة ادارياً إلى قسمين ، لكل قسم مرزبان خاص فهجر لها مرزبان مقره المشقّر ، وللقطيف مرزبان مقره الزارة .

وقد عانت هذه المنطقة من أولئك الولاة الْعُتَاة ، وكابدت ألواناً من الاضطهاد والتنكيل ، واشتهر ازاد فيروز بن جشيش الملقب بالمكعبر الفارسي بفضاضته ووحشيته ، حتى أنه كان يقطع أيدي العرب وأرجلهم من خلاف ، وكاد يفني قبيلة بني تميم عن بكرة أبيها في حادثة حصن المشقر بهجر .

وملخص القصة كما رواها ابن الأثير : أن تميما أغاروا على أموال بعث بها عامل كسرى على اليمن ، فوشى بهم عامله باليمامة هوذة الحنفي ، فكلف عامله بالبحرين المكعبر ليدبر مكيدة للقضاء عليهم ، وكان ذالك وقت جذاذ التمر ،

فنادى مناديه فيهم ليحضر من كان من بني تميم فإن الملك أمر لهم بميرة وطعام ، فحضروا كلهم في حصن المشقر ، وظل يدعو عشرة عشرة ويضرب أعناقهم ، وأخيراً أحسوا بالمكيدة ، فضرب رجل منهم سلسلة الباب بسيفه ، فاندفعوا كلهم ، وفروا من بين يديه هاربين[٢٥] .

ويبدو أن هذه المنطقة كانت في فترة من عهود السيطرة الفارسية تابعة لولاية الحيرة[٢٦] ، كما تدل قصة الشاعرين طرفة بن العبد وخاله المتلمس ، حين وفدا على عمرو بن هند[٢٧] حاكم الحيرة يستعطيان ، وكان يحمل عليهما موجدة ، فأعطى كلاً منهما كتاباً لعامله في البحرين ، وأمره بقتلهما ، ولكن المتلمس شك في موضوع الكتاب ، فأقرأه رجلاً من الحيرة ، ثم رماه في النهر ، أما طرفة فاندفع بشرة الشباب وأتى المكعبر الفارسي فقطع يديه ورجليه ودفنه حياً ، تنفيذاً لأمر ملك الحيرة .

ولم ينقذ هذه المنطقة من براثن الاستعمار الفارسي إلا الانتفاضة الكبرى التي انبعثت بقيادة نبي الإسلام ، فتحررت من السيطرة الأجنبية ، بعد أن كانت تعاني الأمرّين من عنت الولاة وطمع الفاتحين .

القطيف **محمد سعيد المسلم**

الهوامش :

(١) الملقب بأبي التاريخ ، ولد في مدينة هالينكار ناسوس بأسيا الصغرى عام ٤٨٣ ق.م ، واستقربه المقام في ايطاليا وبها توفى عام ٤٢٥ ق.م ، وقد زار بلاد العالم المعروف في ذلك الحين ، وكتب عن أحوال شعوبها وعاداتها ومعتقداتها ، ونظم الحكم فيها ، وقد تأثر بكاتب يوناني قبله ، يدعى هيكاتيوس الميلتي الذي زار مصر وبلاداً كثيرة وألف كتابين عنها ، وقد ضاع هذان الكتابان ، وقد نقل منهما ومن غيرهما هيرودتس بعض معلوماته .

(٢) قصة الحضارة ج ٢ ص ٣٢٧ .

(٣) من عظماء التاريخ غير أن هذه الدولة لم تعمر كثيراً ففي عهد خلفه بيلا شاصر قوّضها الفرس .

(٤) بعد موت سليمان ابن داود انقسمت مملكته إلى دولتين : دولة اسرائيل في الشمال ، وعاصمتها سامريا ، وقد قوضها الأشوريون سنة ٧٢٢ ق.م وظلت دولة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم ، حتى قضى عليها نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م وأخذ اليهود أسرى إلى بابل إلى أن احتلها قورش سنة ٥٣٩ ق.م فأذن لهم بالرجوع إلى فلسطين .

(٥) أول مَنْ فكر في حفر قناة تربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق نهر النيل هو الفرعون نيخو

NECHOS من الأسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ ــ ١٧٨٨ ق.م) وقد شرع في حفرها ــ كما ذكر المؤرخ هيرودتس ــ حتى بلغ طولها أربعة أيام عند مدينة بلبيس ، ثم قام رمسيس الثاني فأوصلها بالبحيرات المالحة ، وأقام سداً لوقف اندفاع الماء خشية الفيضانات ، لاعتقادهم بأن منسوب ماء البحر الأحمر أعلا من النيل بنحو أربعة أقدام ونصف ، وحاول نخاو (٦٠٩ ــ ٥٩٣ ق.م) احياءها وتطهيرها ولكن غزو الفرس لم يمهله فأتمها الفرس ، ثم ردمت وأعادها الأمبراطور الروماني تراجان ثم اهملت ، وفي الفتح الإسلامي أمر عمرو بن العاص بأحيائها عام ٦٤١ م وسميت (بخليج أمير المؤمنين) وكانت تمر بعين شمس وظلت صالحة للملاحة حتى عام ٧٧٠ م حين أمر الخليفة العباسي المنصور بردمها ، وفكر الخليفة هارون الرشيد بأعادتها فأشير عليه بالامتناع خشية من الروم على الديار المقدسة ، وفكر نابليون وغيره في فتحها إلى أن تبنى المشروع فرد يناند دي ليسبس في عهد الخديوي سعيد ، فتم فتحها في عام ١٨٦٩ م .

(٦) و(٧) الخليج ص ٧٢ .

(٨) نسبة إلى مقدونيا ، وهي دولة قديمة نشأت في شبه جزيرة البلقان وسيطرت على بلاد الاغريق بقيادة فيلب الثاني ، وبعد وفاته سنة ٣٣٦ ق.م خلفه عل العرش ابنه الاسكندر الكبير المعروف بذي القرنين . ذكرنا شيئاً من ترجمته في الحواشي السابقة .

(٩) الخليج / ولسن ص ٩٧ والمفصل ج ٢ ص ٧ .

(١٠) كراكس مدينة على فم الخليج وقد اندرست ، وهي في موضع مايعرف الآن بالمحجرة .

(١١) تقاسم أهم أجزاء امبراطوريته ثلاثة من قواده العظام ، فاستقل فيليبس بمقدونيا واليونان ، وبطليموس بمصر والمغرب ، حيث أسس دولة البطالمة (٣٢٣ ــ ٣٠ ق.م) وسلوقوس بالعراق وسوريا ، حيث أسس الدولة السلوقية (٣١٢ ــ ٦٤ ق.م) . أما فارس فقد قسمها الأسكندر حين احتلالها إلى ولايات لاضعافها ، وأسند حكمها إلى أمراء ، عرفوا بملوك الطوائف .

(١٢) اندرست هذه المدينة في الوقت الحاضر ، فلا يعرف موضعها ، وَصَفَها استرابون بأنها تقع في أرض سبخة وعل خليج عميق ، وأن بيوتها مبنية بحجارة الملح ، وأن مؤسسيها مهاجرون كلدانيون من أهل بابل ، ووصفها بلينوس بأنها تقع على خليج عميق يسمى باسمها ، ويبلغ محيطها خمسة أميال ، وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها القطيف استناداً لكونها مدينة ساحلية صالحة للاستيطان البشري وميناء تجارياً ، وذهب آخرون إلى أنها الأحساء ، استناداً إلى تقدير المسافة التي ذكرها الأغريق بينها وبين جزيرة تيلوس (البحرين) وورد ذكرها في شعر ابن المقرب وفي كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني . أما علماء الآثار ، فذهبوا إلى أنها تقع على مقربة من العقير ، حيث وجدوا خرائب قديمة وآثار عمران دراسة ، فقرروا أنها الجرعاء .

(١٣) المفصل ج ٢ ص ١٥ .

(١٤) وتسمى الارشكانية ، نسبة إلى مؤسسها أرشك سنة ٢٥٦ ق.م فقام بتوحيد صفوف ملوك الطوائف ، وكسب احترامهم وولاءهم ، وقد عاشت هذه الدولة يتوارثها أعقابه ، وفي عام ١٢٦ ق.م استولوا على العراق ، وأجلوا السلوقيين منها ، وظلت الحرب سجالاً بينهم وبين الرومان ، وفي عام ٢٢٦ م لفظت أنفاسها الأخيرة بقيام الدولة الساسانية .

(١٥) «تاريخ الأمم والملوك» ج ١ ص ٤٣٧ و«الكامل» ج ١ ص ٣٤٠ .

(١٦) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ص ١٧ .

(١٧) هو أحد ملوك الطوائف (٢٢٦ ــ ٢٤١ م) ومؤسس الدولة الساسانية قام بتوحيد ايران ، ثم احتل العراق وبلاد البحرين واليمامة واليمن ، وقد تولى من سلالته ٣٠ ملكاً ، آخرهم يزد جرد الثالث الذي قتل بمرو في الفتح الإسلامي .

(١٨) «تاريخ الأمم والملوك» ج ١ ص ٤٧٩ .

أديب أحسائي مغمور :

ـ ٣ ـ

عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر

ومما ذكره المؤرخ اليمني ابن جحاف مما يتعلق بأديبنا عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر أن الوفد الذي كان أحد رجاله والذي سبقت الإشارة إلى وصوله إلى بلاد كوكبان من اليمن في أواخر جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ لما استقر في كوكبان كان عبدالله يسأل عن أعلامها ، فوصف له كلّ منهم ، وفقد من بينهم عبدالله بن عيسى ، فسأل عنه فقيل : إنه في (الأهجر) فاستغرب ذالك الاسم فكتب إليه :

---

(١٩) تأسست روما سنة ٧٥٣ ق.م وقامت فيها الدولة المدنية ، ولما قويت بدأت فتوحاتها فضمت إليها أقاليم ايطاليا ، وفي عام ١٤٦ ق.م احتلت مقدونيا واليونان ثم آسيا الصغرى وسوريا وافريقيا الشمالية وحولتها إلى أقاليم رومانية وصارت امبراطورية ، وفي عام ٣٩٥ م انقسمت إلى قسمين غربي وعاصمته روما ، وشرقي وعاصمته بيزنطة (القسطنطينية) . وتوالت هجمات البربر على روما فسقطت عام ٤٧٦ م . أما الامبراطورية البيزنطية فقد استمرت حتى الاحتلال العثماني عام ١٤٥٣ م .

(٢٠) أعتقد أن المقصود به بلدة الكوكب إحدى ضواحي القطيف .

(٢١) «المفصل» ج ٢ ص ٥٥١ .

(٢٢) «تاريخ الأمم والملوك» ج ١ ص ٤٩٠ ـ ٤٩٢ .

(٢٣) ورد في تاريخ الطبري (واسمها هيج) ، وفي «المفصل» ودارين واسمها (هيج) وهذا تحريف من النساخ لجهلهم أن في بلاد البحرين بلدة تسمى سماهيج بجزيرة البحرين وكانت في ذالك العهد ذات أهمية ومن مراكز التبشير بالمسيحية .

(٢٤) «المفصل» ج ٢ ص ٦٣٩ .

(٢٥) ابن الأثير ج ١ ص ٤٦٨ .

(٢٦) تأسست مملكة الحيرة عقب انهيار الدولة البرثية وقيام ملوك الطوائف ، وكانت الأوضاع في العراق مشجعة لهجرة بعض قبائل المنطقة من حلف تنوخ إليها ، لاسيما بعد استفحال سيطرة بني عبدالقيس ومزاحمتهم لهم في بلاد البحرين ، فكان أن نزحوا إلى الحيرة والأنبار ، واستغلوا الفرصة في الصراع القائم بين الأردوانيين (ملوك الطوائف) وبين الأرمانيين (الأهالي)، فأسسوا مملكة الحيرة ، التي تعاقب على حكمها من الدولة التنوخية ثلاثة ، وهم مالك بن فهم وأخوه عمرو بن فهم ، زعيما قضاعة وجذيمة الأبرش زعيم الأزد ، وهم زعماء تنوخ ، ثم ورث العرش بنو لخم وكان أولهم عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة ، فسميت الدولة اللخمية (٢٦٨ ـ ٦٣٢ م) .

(٢٧) حكم من ٥٥٤ م إلى ٥٧٠ م .

جَرَى ذِكْرُ هَجْرٍ في خُروق المسامع ... سُحَيْراً ففاضتْ مقلتي بالمدامع
وقُلْتُ عَسَى طيفٌ يُلِمّ بذكرها ... يُقَرِّبُ لي منها إِذَنْ كلَّ شاسع
إذا مَرَّ ذكراها تذكَّرتُ جِيرتي ... وإخوانَ وُدٍّ في جميع المواضع
لئنْ هَجَرَتْنِي حين أَنْ كنت غائباً ... خيالي إذاً يغزُوهم في المضاجع
ويُدْنِيْهم مِنِي وإنْ كُنْت نائيا ... ثنائي عليهم بابتذال المطامع

كأَنِّي بهم يوما إذا ماتَنَادَمُوا ... على كأس نَبْت ٱلبُنِّ وَسْطَ المجامع
حديثُهم فِينا إلى وَقْتِ بَيْنِهِمْ ... يعدونه فيهمٍ عظيم المنافع
فَلِلهِ ما أَحْلَا وأَهْنَا حديثهم ... وإنْ وقَعُوا مِنِي على كل باقع
هو الفخر إن فاخرتَ يوماً منازِعاً ... ففاخِرْ به إن شئت كُلَّ منازع
رأيتُ النَّدَى والفخر يشدُو بذكره ... أنا عَبْدُ عبدِ الله معطي ومانعي
فقلت: شراءً قال: لابَلْ وِرَاثَةً ... وحاشاي أن آتيه من كفِّ بائع
فأنسانِيَ اللائي أُبَاهِي بذكرهم ... وكانوا كأن لم يجلسوا في الشوارع

ولما استقر هنالك رغب في أدبه أهلُ كوكبان ، ودعوه من مكان إلى مكان ، وطارحوه مع عبدالعزيز غرر المسائل ، وأوقفه عبدالله بن عيسى عالم المحل على مؤلف للقاضي العلامة البدر محمد بن علي الشوكاني ، انتصر فيه لما صنفه القاضي يحيى بن صالح السحولي رحمه الله ، في منع المسلمين من التقاط الأذى ، لِوَقِيد الحمامات ، فإن القاضي الصدر يحيى بن صالح ألزم اليهود التقاط الأزبال والأذى ، ومنع المسلمين ذالك ميلاً إلى شرف الإسلام ، وصيانة عن التلوث بما دونه في الخباثة كالمتلبس بالأزلام ، فلما وقف عبدالله بن مبارك على ذالك المؤلف ، قال معترضاً لمباحث في تلك الرسالة وقد نقلت ماقاله ابن المبارك لحضوره عندي ، ولم أنقل كلام القاضي لعدم اطلاعي عليه حال الكتب ، فقال وقد رأى القاضي استدل بآية : ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ فاستدل القاضي بأن قوله : ﴿وهم صاغرون﴾ يقتضي إنزال الصغار بهم .

فقال ابن المبارك مالفظه : أخرج الآية من حيز التفسير إلى حيز التعسير ، فإن الله سبحانه وتعالى بعث نبيه فأمره بقتلهم أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، فقوله : ﴿حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ أي قاتلوهم واقتلوهم إلى أن يعطوا الجزية ، فإذا اطمأنت نفوسهم على أدائها إليكم في وقتها المضروب ، فكفوا عنهم ، ولا تقاتلوهم ولا تقتلوهم ، ولا تعرضوا لشيء من خفر ذمة الله .

ثم قال : وقول القاضي وهم صاغرون يحتمل وجهين : أحدهما: أن تكون الواو للحال ، فيكون تقدير الكلام إلا أن يعطوا الجزية في حال صغارهم ، وذالك بأن توطأ عنقه وتعلوه يد المسلم وما سوى هذه الهيئة من الهيئات لايلتفت إليه ، لأن الحال قيد في عاملها ، وجملة (وهم صاغرون) حال من الضمير ، أي (الواو) في (يعطوا) أو يكون للاستئناف ، فينقطع الكلام عند قوله (عن يد) لأن قوله (عن يد) يتضمن معنى (وهم صاغرون) فمعنى (عن يد) عن قهر وإذلال ، ويكون (وهم صاغرون) جملة خبرية لفظاً ، إنشائية معنى ، أي: فاستصغروهم أو يكون قوله (عن يد) متقدم على (وهم صاغرون) والتقدير حتى يعطوا الجزية وهم صاغرون عن يد أي أمر من الله لرسوله وعباده المؤمنين ، واليد الأمر تقول : لا أفعل حتى تأتيني يد منك ، ودَعْوَى أن الجملة الاسمية تفيد الدوام والاستمرار مسلَّم ، لكن إذا تقدمها واو الحال صرفها عن ذالك ، لأن الحال تكون لازمة كقولهم : خلق الله الزرافة يديها أطول من رجليها ، وتارة تكون متجددة كجاء زيد ضاحكاً أي وهو يضحك فلا يكون الصغار لازماً لهم ، بل يحدث وقت أخذ الجزية منهم ، ولا يلزمهم فيما عداه ، فمهما وُجِدَ الاعطاء وجد الصغار ، وحيثما عُدم انعدم ، وأيضاً الصغار صفة ، فتوجد بوجود سببها وتنعدم بانعدامه أو سبب تنوجد بانوجاد مسببه وتنعدم بانعدامه ، أو علة تَنْوجِدُ بانوجاد معلولها ، أو أن الصغار علة والإعطاء حُكْم والعلة تدور مع الحكم وجوداً وعدماً ، اللهم إلا أن يقال : إنهم قابلون لذالك ، مظنة له وإن لم يلزمه إياهم على الدوام ، هذا إذا مشينا على أن الجملة حاليَّة ، واما إن قلنا أنها للاستئناف كما أسلفناه أو أنها خبرية

لفظاً انشائية معنى ، سلمنا ماقيل: من أنها تفيد الدوام والاستمرار ، لكن تسليماً لايصل إلى ماأراده المدعي من إلزامهم بالتقاط الأزبال ، لأنهم غير مكلفين بذالك ، ولا يُدَان الله تعالى به ولا نتعدى حكم الله فيهم ، وحمل الآية عليه تكلف وتعسف واخراج للنظم الكريم عن معناه الحقيقي ، بل والمجازي ولا يقدح في ذالك أن خصوص السبب لاينافي عموم الحكم لأنا نسلم ذالك ، ونقول : إن الآية نزلت في من كان في عهده وزمانه وماقصرناها عليهم ، بل اتبعناها خَلَفَهُم إلى يوم القيامة ، وحكمناها فيهم ودعوى انه يلزم من لفظ الصغار اجراؤه على جميع مسمياته باطل ، لأن ضربهم بلا سبب من الصغار وحبسهم بلا سبب كذالك ، ونهب أموالهم كذالك ، ولا قائل به ، فكيف يقال : إن إلزامهم بالتقاط الأزبال من الصغار المذكور .

ودعوى انا إذا لم نلزمهم بذالك احتجنا إلى غيرهم من المسلمين ، وهو محرم عليهم ولا يجوز إلحاق هذا العار بهم غير مسلَّم أيضاً ، لأنه غير محرم على المسلمين مع الحاجة لأنه لا يحرم على المسلم ، إلا إذا تلطخ بالنجاسة من غير ضرورة ، وأما مع الحاجة فلا ، وقد كان كثير من العلماء والزهاد يخرجون كُنَفهم بأنفسهم ويجب التحرز ما استطاع .

وأما آية ضرب الذلة فيقال : دعوى انه يلزم من ضرب الذلة عليهم الزامهم بالتقاط الأزبال محض احتيال أو استرسال مع أدنى طيف من خيال ، وتلميحُه بأن هذا من الأسباب التي لم يمنع الشارع منها دعوى واهية ، إذ المنع تواتر وتظاهر عن الله تعالى وعن رسوله ، وذالك بأن لانتعدى حكم الله فيهم ، ولا نتجاوز ولا نبتدع ، ولا نخترع ، فليت شعري هل منعه يساوي هذا المنع ، أو يقاومه فبقي على المدعي الاتيان بدليل يتضمن منطوقا أو مفهوما اجبارهم على ذالك .

ودعوى أن اجْبارهم على ذالك من أبلغ أنواع الذل والصغار مسلَّم ، لكن الأمر في مثل ذالك متوقف على نص الشارع .

الثانية قوله تعالى : ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ قال: المراد منها خزي كثير أو عظيم ، لأن اللفظ لا يتبع حتى يساعده المعنى ، ودلالة المعنى أقوى من دلالة اللفظ ، والمراد بالتنكير هنا التهويل والتعظيم ، لا التكثير ولا المجموع ، ولا خزي أعظم وأشنع مما ألزمه الله تعالى رقابهم من ضرب الجزية أو القتل والسلب . انتهى .

وقد رد عليه البدر الشوكاني رداً لم يظهر ولعلها ذهبت به أيدي الضياع هذا مجمل ماذكره المؤرخ ابن جحاف في كتابه «درر نحور الحور العين» . وفي مكان آخر من هذه المجلة بحث يتعلق بالوفد الذي بعثه الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١٢٢٢ إلى صنعاء وماذا كانت نتيجة تلك الوفادة .

والواقع أن منزلة ابن بشير الأدبية ليست فيما سبق عرضه من نماذج شعره أو نثره ، وإنما تتضح بالنسبة لأدباء عصره الذين لايجد الباحث له ذكراً بينهم ، وهذا مادعى إلى إيراد جميع ماورد في الكتب اليمنية عنه .

وتظهر منزلته في العلم بالنسبة لعلماء عصره مما يتضح من مناقشته لرسالة الشوكاني الذي يعتبر في ذالك العصر عالم اليمن ومجتهده بل من أبرز علماء عصره .

ولَمْ يقفِ النِّقَاشُ في هذه المسألة عند حد الشوكاني وابن بشير ، بل شاركهما علماء آخرون كما يتضح من مجموع رسائل تدور كُلُّهَا حول هذه المسألة وهي :

١ ــ « حل الإشكال ، في إجْبار اليهود على التقاط الأزبال » لشيخ الإسلام الشوكاني .

٢ ــ « إرسال المقال على إزالة حل الإشكال » للسيد عبدالله بن عيسى بن محمد .

٣ ــ « تفويق النِّبَال ، إلى إرسال المقال » ردا لشيخ الإسلام الشوكاني .

٤ ــ « توضيح وجوه الاختلال ، في إزالة الإشكال » للسيد الفقيه علي بن

عبدالله بن الجلال .

٥ ــ « تحقيق المقال ، وقطع الجدال ، على حل الإشكال ، وإرسال المقال » لعبدالله بن بُشَيِّر المالكي .

٦ ــ « الاعلال لتحقيق المقال » لشيخ الاسلام الشوكاني ردًّا على ابن بُشَيِّر .

والطريف في هذا النقاش أنه تبارى فيه عدد من العلماء اليمنيين وشارك فيه صاحبنا ابن بُشَيِّر بما أورد المؤرخ اليمني ملخصه من رسالة لاتزال مخطوطة ، وأصلها في مكتبة القاضي حسين السياغي في صنعاء ، ومنها نسخة مصورة في دار الكتب المصرية ضمن المخطوطات اليمنية المصورة ، وتقع رسالة ابن بُشَيِّر في خمس عشرة صفحة تقدم ذكر عنوانها ، وأولها بعد البسملة : حمدا لمن جعل الذلة والصغار على من خالف أمر نبيه المختار ، ورفع شأن أُمته على جميع الأمم ، وبشرهم بالثناء والرفعة على جميع من تقدم ، وصلاة وسلاما من الله تتصل بذلك المعنى اللطيف ، والشبح الشريف ، وآله المصطَفَيْنَ الأخيار ، وصحابته المخبتين الأبرار ، وبعد فيقول العبد الحقير الذليل المنكسر خاطره لعظم مايقال من الهويل ، والمتضاءل لملكوت خلاقه القدير عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر : فإني لما نظرت رسالة إنسان عين هذا الزمان وواسطة عقد هذا المكان . . . . محمد بن علي الشوكاني ، الموسومة بـ « حل الإشكال في إجبار اليهود على التقاط الأزبال » . . . ــ ثم كلمات غير واضحة لسوء التصوير ــ وآخرها : هذا مالا يكون ، ولا يقول به عاقل ولا مجنون ، ومتى يكون منه دليل على جواز اجبار اليهود على التقاط زبالاتكم وكناسة مطاهركم ، هذا بناءً على جُرُفٍ هَارٍ ، واستهزاء ، واستهتار ، ولو وجد الصانع آلة لأجاد فيكم نسجه ، وأعماله ، ولكن جهد مقل وإملاء مستقل ، سمحت به القريحة ، محض إرشاد ونصيحة ، فلا يظن غير ذلك ، ولا يحمل على غيره من المسالك ، ثم لنكف عنان القلم عن تخطيه ، وعن إشالة ذنبه وتعاطيه ، والله يتولى إثابة الجميع فإنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير ، قال في الأصل : انتهى بقلم كاتبه الفقير عبدالله بن بشير يوم الخميس الحادي عشر من المبارك (؟) من السنة الموفية على المئتين

←

بنو زيد : أسرهم ومنازلهم

[قام الاخوان الكريمان الدكتور عبدالله بن أحمد الزيد والأستاذ أحمد بن محمد اليحيا بمحاولة وضع معجم يضم أسر بني زيد .

وقد افضلا مشكورين ببعث جزء مما جمعا ، يسر مجلة «العرب» أن تقدمه لقرائها في هذا الجزء . ومن الممكن الاتصال للاستزادة أو الافادة بالأخ أحمد بن محمد اليحيا بالكتابة إليه وعنوانه (الرياض ص.ب: ٥٢٥٣٢)] .

والأثنين والعشرين والألف . ثم نقل النسخة من خط القاضي علي بن علي اليماني والناقل هو محمد بن حسين بن أحمد السياغي في سلخ جمادي الآخرة سنة ١٣٦١ .

وابن بشير في رسالته هذه أشار إلى شيخه ابن غنام بقوله : وقد سمعت من شيخي الشيخ حسين بن غنام فسح الله في بقائه يقول : إن الشيخ عبدالله المنوفي شيخ الشيخ خليل بن إسحاق خرج يوما من داره فوجد الشيخ خليل في منفذ كنيفه يخرج زبالته ، فقال له : ماحملك على ذلك ؟ فقال : كرهت ان نحتاج إلى أحد ، وأنا أولى به ، فشكره على ذلك . قال : لو كان محرما لما أجازه الشيخ عبدالله المنوفي مع جلالة قدره ، وعلو مرتبته ومحله من العلوم العقلية والنقلية .

ويلي هذه الرسالة رسالة للقاضي محمد بن علي الشوكاني عنوانها « الاعلال لتحقيق المقال » وهي في الرد على رسالة ابن بُشَيِّر .

وبصرف النظر عن موضوع تلك الرسائل فإن القارىء يجد في دراستها متعة ، إذ تتضح له جوانب مما كان يدور بين علماء ذلك العصر من النقاش ، وما كانوا يسيرون عليه في معالجة بعض القضايا الفكرية مما يوضح أساليبهم وجوانب مما يتصفون به من العلم في مختلف الفنون .

حمد الجاسر

الأُصَيْقِـــع :

في نُخَيْلان ،

من آل حمد ، من آل محمد من آل سلمان من عطيَّة ، من بني زيد .

بنو الأميـر :

في شقراء وجُلاجل في سُدَيّر،

وهم بنو الأمير عبدالله بن حمد بن محمد بن سلطان بن حمد بن غيهب ، من آل غيهب من آل بلدي من عطوي من بني زيد .

الْبِـــــدَاح :

في القويعية :

من آل صعب .

من آل عبدالله من آل علي من عطية .

من بني زيد .

البُدَيْـــوِي :

ـ بالتصغير ـ

في القويعية .

من آل بديوي .

من الضّعْفان .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

البُرَيْثِـــن :

في شقراء .

من آل حُرْقوص .

من آل فيَّاض .
من عطوي من بني زيد .

البشـــــر :

في جلاجل والأسياح وبُريدَة .
منهم الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بِشْر المتوفى سنة ١٢٩٠هـ صاحب كتاب «عنوان المجد في تاريخ نجْد» .

ومنهم الشيخ عثمان بن أحمد بن عثمان بن بشر عاش بين عامي (١٢٩٤هـ ــ ١٣٦٧هـ) .

من آل حرقوص .
من آل فَيَّاض
من عطوي من بني زيد .

البكور : (آل بكر) أو (أبُو بكر) :

في شقراء والدوادمي .
بنو بكر بن عثمان بن يحيى بن غَيْهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل بَلَـــدِي :

هم أبناء بلدي بن عطوي من بني زيد . وبلدي هذا جَدُّ بَطْنٍ كبير من بطون قبيلة بني زيد .

البُلَيْهِـــي :

في القويعية .

من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

البوارِيـــد :

ـ واحدهم (بواردي) ـ
من شقراء وهم أمراؤها .
من آل حرقوص .
من آل فيَّاض .
من عطوي من بني زيد .

التُّوَيْجِـــر :

ـ بالتصغير ـ
في القويعية .
من آل جدلان .
من الضُّعْفَان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الثَّاقِـب (آل ثاقب) :

في شقراء .
من آل سَدْحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الثُّنَيَّـان :

في شقراء .

من آل سدحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الجِبْـرِيْن (آل جبرين) :

في القويعية .
من آل رَشِيـد .
من عطية من بني زيد منهم العلامة الفقيه والمفتي الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن ابن جبرين ــ معاصر ــ

الجبيريني :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الجدلان (آل جَدْلان) :

في القويعية .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الجُـرَيْس :

في الدوادمي .
من آل سويد .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

ألجَـــلَّال :

في شقراء .
من آل سدحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الجَمَّاز :

في شقراء .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الجُمَيْـــح :

في شقراء .
من آل يحيى
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ألجُهَيِّـم :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الحامـــد :

في القويعية .
من آل مسلم .

من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

ألحُبَيِّـــب :

ـ بالتصغير ـ
في شقراء .
من آل مَنِيع .
من آل حُرْقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الحُدَيْثي : (الحداثا)

ـ بضم الحاء المهملة وفتح الدال ـ
في البكيرية .
من آل رشيد .
من عطية من بني زيد .

آل حُرْقُوص :

هم أبناء حرقوص بن فياض بن عطوي من بني زيد وحرقوص هذا جدٌّ فخذٍ من أفخاذ قبيلة بني زيد .

الحرقـوص :

في شقراء .
من آل مَنيع .
من آل حرقوص .
من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

الحُرَيْشَـــان :

في شقراء والدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الحسـانـــا :

واحدهم حُسَيْنِي .
في حُمْرُور والدوادمي وشقراء .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الحســـن :

في شقراء .
من آل مسلم .
من الضعفان .
من آل على .
من عطية من بني زيد .

آل ابن حسن :

في شقراء .
من الحداثا .
من آل رشيد .
من عطية من بني زيد .

الحُسَيْـــن :

في شقراء .

من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

الحُضَيْبِـــي :

ـ بالتصغير ـ
في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل حمَّـــاد :

في شقراء وعُنيزة والأحساء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الحَمَـــاد :

واحدهم (حَمِيدي) .
في شقراء .
من آل حرقوص
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

آل حَمَـــد :

هم ذرية حمد بن محمد بن سلمان بن عطية .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الحمـــد :

في القويعية .

من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ألحُمَيِّـــد :

من آل سويد .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الحِنْطِـي :

في شقراء وعُنيزة .
وهم أبناء ابراهيم بن عبدالله الأمير بن حمد بن سلطان بن حمد بن غيهب .
من الشهبان .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ألحُنَيْـــف :

في المُزَاحِمِيَّة والقُويعية والدَّوَادمِي .
من آل زيد .
من آل حمد .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الحُوَيْصَـــان :

في القويعية .
من آل رشيد من عطية ، من بني زيد .

الخُزَيِّـــمُ :

في الدوادمي .
من آل سويد .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الخَضِيْـــر :

ـ بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد ـ
في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ألخُضَيْـــر :

ـ بضم الخاء المعجمة وفتح الضاد ـ
في القويعية .
من آل مسلم .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الخَمِيْـــس :

في العِطْيَان .
من آل مسلم .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الدّحَّـــام :

في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الدرّاك (آل درّاك) :

ـ بالدال وفتح الراء مخففة ـ
في شقراء .
من آل منيع .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الدُّغَيِّـم :

من آل سويد
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الدُّوَيْهِـــس :

في شقراء .
من آل منيع .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الراجحي (آل الراجحي ــ الرواجح) :

في البكيرية .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الرُّبَيِّــع :

ــ بضم الراء وكسر الياء مشدَّدَتَيْنِ ــ
في شقراء .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

الرَّبِيعــة :

في شقراء وفي القويعية ونُخَيْلان ، والمزاحمية والدَّمَّام .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الرَّحمــة :

في القويعية .
من الشلعان .
من آل بديوي .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل رَشِيــد :

ــ بفتح الراء وكسر الشين ــ

رشيد هو جد بطن كبير من بطون قبيلة بني زيد وهو رَشِيد بن عطية من بني زيد .

الرُّقَيْـبُ :

ـ بضم الراء وفتح القاف ـ
في شقراء .
من آل علي ، من عطية من بني زيد .

آل زامـل :

من آل سويد .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الزُّحَافَـا :

في الرياض .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الزكـــرِي :

في حوطة سُدَيْر .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

آل زُنَيْتَـــان :

في رُويضة ٱلعِرْض .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

آل زيـــد :

هم ذرية زيد بن حمد بن محمد بن سلمان بن عطية من بني زيد .
وهم ثلاث أسر الزيد في الغاظ والحنيف والربيعة في المزاحمية .

الزيـد (آل زيد) :

في الغاط .
هم ذرية محمد بن علي بن محمد بن سعد بن زيد بن حمد بن محمد بن سلمان بن عطية من بني زيد .

الزيـــد (آل زيد) :

في شقراء .
من آل غَيهب من آل بلدي من عطوي من بني زيد .

آل (ابو زيد) :

في الدوادمي والمدينة .
من الغيهب من آل بلدي من عطوي .

من بني زيد منهم الشيخ بكر بن عبدالله .
أبو زيد (معاصر) .

السَّبْتِـــي :

في شقراء .
من آل عبدالكريم من الغيهب ، من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

السُّبَيِّـــلُ (آل سُبَيِّل) :

في البُكَيْرِيَّة .
من آل عثمان من آل غيهب من آل بلدي .

من عطوي من بني زيد .

السَّحَالِيـن :

من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

السحيـــم :

في القويعية وفي رغبة .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

السُّحَيْمِـــي :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل سدحـــان :

في شقراء .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

السعـــدان :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

السَّـلَامـــا :

ـ واحدهم سُلَيْمِي ـ

في شقراء .
من آل سدحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل سلمـــان :

سلمان جد بطن كبير من بطون قبيلة بني زيد وهو سلمان بن عطية من بني زيد .

آل سليمان :

سليمان : جَدُّ بطن من بطون قبيلة بني زيد وهو سليمان بن عطية من بني زيد .

السليمـــان :

في الزُّلفي .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل سُوَيّـــد :

ـ بالتَّصغير ـ
في الدوادمي .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .
يقول فيهم ابن سُرَيِّع من سكان البرود في السر :

يـابـير ليتـك للوداعـين جـارَهْ وِالاَّ لقصـر سـويِّد يَمّ (دَاوِرْدْ)

يقصد بقصر سُوَيّد الدوادمي .

السويلـــم :

في شقراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الشُّرَيِّـــفُ :

ـ بالتصغير ـ
في القويعية .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشُّرَيْـــم :

في شقراء والسِّـر .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الشُّعَيْفَـــان :

في القويعية وفي الرين
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشعيـــلان :

في الشعراء .
من آل صالح .

من آل فيَّاض .
من عطوي من بني زيد .

الشُّقَيْـــرُ :

في القويعية .
من آل ناصر .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشُّقيـــران :

في القويعية .
من الشقير .
من آل ناصر .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشلعـــان :

في القويعية والرين .
من آل بديوي .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الشمَـالـــي :

في البكيرية .

من الراجحي (الرواجح) .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الشنافِـرة :

هم من ذرية ناصر بن حمد بن محمد بن سلمان بن عطية من بني زيد .

من آل سلمان .

من عطية من بني زيد .

الشهبـــان :

واحدهم ـ أشهب ـ
في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الشهْـــوَان :

في شقراء والسِّـر .
من آل جدلان .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل شُهَيِّـــب :

في شقراء .
من آل صالح .

من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

آل صالـــح :

صالح هو جد فخذ كبير من أفخاذ قبيلة بني زيد ، وهو صالح بن فياض بن عطوي من بني زيد .

الصالـــح :

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الصُّبْيَـــان :

واحدهم (صُبَيٌّ) بضم الصاد وفتح الباء الموحدة ــ
في شقراء .
هم ذرية إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن غيهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الصَّبَاحَـــا :

في القُويعية .
من آل سلمان من عطية من بني زيد .

الصَّعَـــبُ :

في الشعراء .

من آل علي من عطية من بني زيد .

الصُّقَيْـران :

في الدوادمي .
من آل سَوَيِّد من آل فياض من عطوي من بني زيد .

آل صُويلــح :

في شقراء .
من آل صالح من آل فيَّاض من عطوي من بني زيد .

الضَّبَاعِيْــن :

من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

الضَّــرّاب :

ـ بتشديد الضاد والراء ـ
في عنيزة .
من عطية من بني زيد .

الضعفــان :

هم ذرية محمد بن علي بن عطية من بني زيد ويلقب محمد المذكور بالضُّعَيِّف ، ولهذا قيل لبنيه الضُّعْفَان .

الضُّوَيَّــان :

في القويعية .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الطُّخَيْـــسُ :

في الدوادمي .
من آل رَشيد .
من عطية من بني زيد .

الطِّـــوَال :

ـ واحدهم طَوِيل ـ
في شقراء .
من آل منيع .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الطواهـــر :

في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الطيَّـــار :

في القويعية ومُحَيْرقة .
من الفوزان .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

ألعَبَـــادَا :

في شقراء .

من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

آل عبـــاس :

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

آل (أبو عباة) :

في شقراء .
من آل سلمان من عطية من بني زيد .

العبد الكريـم :

في شقراء .
هم أبناء عبدالكريم بن محمد بن عبدالله بن غيهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

العبدلـــي :

في عُنَيْـزة :
من آل حماد .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

منهم الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن يحيى بن محمد بن عثمان بن حماد بن حمد العبدلي (١٣٠٦ ــ ١٣٣٦هـ) .

آل أَبُو عُبَيْد :

في الشعراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العبَيْــد :

ــ بفتح الباء الموحدة وإسكان الياء المثناة من تحت ــ
في شقراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

ألعُبَيِّــد :

ــ بالتصغير ــ ويعرفون الآن باسم (النِّمْران) ــ
في القويعية .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

العتانــا :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العثمـــان :

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العثمـــان :

في شقراء والبكيرية .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

العثمـــان :

في القويعية .
من آل ناصر .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

العثمـــان :

في القويعية .
في آل رشيد .
من عطية من بني زيد .

العَجَاجِـــي :

في الشعراء .

من آل علي .
من عطية من بني زيد .

العُصْفـــور :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل عطـــوي :

هو بفتح العين والطاء وكسر الواو على وزن (بدوي) أبو بطن كبير من بطون قبيلة بني زيد .

آل عَطيّـة :

عطية جد بطن كبير من بطون بني زيد .

آل علـــي :

علي هذا جد بطن كبير من بطون قبيلة بني زيد وهو علي بن عطية من بني زيد .

العُمَيْـــرِي :

في القويعية .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل عَـــوْدان :

بفتح العين وإسكان الواو .

في شقراء .

هم من ذرية سليمان بن يحيا بن عبدالله بن غيهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .
منهم الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم بن علي بن سليمان .

العُوَيْـــس :

من آل ناصر .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

العُوَيْفِـــي :

في رُويضة العرض .
من آل سعود .
من آل حمد .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

ألعُوَيْمـــر :

ـ بالتَّصغيـر ـ
في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل عَيْبَـــان :

في قصر يُنْسَبُ إليهم في الرين بمنْطقة العرض .

من آل قميش .
من آل هويمل .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العِيْـد :

في شقراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

العِيْسـى :

في شقراء .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

منهم مؤرخ نجْد الشيخ ابراهيم بن صالح بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن حمد بن عبدالله بن عيسى (١٢٧٠ ــ ١٣٤٣هـ) .

والشيخ أحمد بن ابراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عيسى بن علي بن عطية (١٢٥٣ ــ ١٣٢٩هـ) له مؤلفات .

والشيخ علي بن عبدالله بن ابراهيم بن حمد المتقدم (١٢٤٩ ــ ١٣٣١هـ) .

والشيخ ناصر بن سعود بن عبدالعزيز بن ابراهيم بن محمد بن حمد بن عبدالله بن عيسى (ويلقب شويمي) (١٢٨٥ ــ ١٣٥٠هـ) .

الغزاغيـز :

في القويعية .

من آل بديوي .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل غَيْهَب :

في شقراء .
من آل غيهب . وغَيْهَبُ جَدُّ فخذ كبير من أفخاذ قبيلة بني زيد وهو غيهب بن بلدي بن عطوي من بني زيد .

من آل بلدي .

من عطوي من بني زيد .

منهم الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن ابراهيم بن محمد بن عثمان بن حمد بن سلطان بن غيهب بن بلدي (١٢٣٨ ــ ١٣٢١هـ) .

الفِنْتُوخُ :

في القصب وروضة سدير ونِفِي والسِّـرّ .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الفوزان :

في مُحَيْرقة ، والقويعية .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

الفوزان :

هم ذرية فوزان بن عثمان بن عبدالله بن عيسى بن علي بن عطية .

من آل عيسى .

من آل علي .

من عطية من بني زيد .

الفيـــاض :

في الدوادمي .

من آل صالح .

من آل فياض .

وفياض جد بطن كبير من البطون التي تفرعت عنها قبيلة بني زيد وهو فياض بن عطوي من بني زيد .

ألقَرَانـــا :

في شقراء والدوادمي .

من آل صالح .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

القميـــش :

في قرية باسمهم في الرين بِمنطقة العِرْض .

من آل هُوَيْمل .

من آل حرقوص .

من آل فياض .

من عطوي من بني زيد .

القُنَيْبِـــطُ :

في الوشم وعُنيزة .

وهم ذرية ابراهيم بن سلطان بن غيهب .
من الشهبان .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

القُوَيز (القُوَزة) :

في شقراء والدوادمي .
من آل صالح .
من آل فيَّاض .
من عطوي من بني زيد .

اللُّهَيْـــب :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الماضـــي :

في الخنقة والقُوَيْعية .
من آل ناصر .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الماطِـــر :

في شقراء .
من آل سدحان .

من آل بلدي
من عطية من بني زيد .

المُتْـــرِكُ :

في شقراء .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

المُجَيْـــوِل :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المُحَـــارِبُ :

في القويعية .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

المُرْعبـــة :

في رُوَيضة العرض .
من آل حمد .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

المسعـــد :

في الشعراء .

من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المسعـــود :

في الشعراء .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل مسلم :

ذرية مسلم بن محمد (الضُّعَيْف) بن علي بن عطية .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

المُطَاوِعَـــةُ :

في القويعية .
من آل حمد .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

المطـــوع :

في القويعية ومُحَيْرِقَة .
من آل سليمان .
من عطية من بني زيد .

المُعَيْقِـــلُ :

في زُمَيْقَةَ من الخرج .

من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المقارِيَـــةُ :

ـ واحدهم مُقَـرِّي ـ
في الدوادمي .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

المُقْـــرِنُ :

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المِنْدِيـــل :

في القويعية .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

المنصـــور :

في الشعراء والدِّوادمي وشقراء .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

المنقـــاش :

في القويعية .
من آل مسلم .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

آل مَنِيـــع :

في شقراء .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد . منهم الشيخ عبدالله بن سليمان بن مَنِيع ــ (معاصر)

المُنِيفـــي :

في شقراء وأُشيقر والزُّلْفِي .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المُهَنَّـــا :

في الدوادمي والقراين .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

المهنـــا :

في شقراء .

وهم ذرية مهنا بن سلطان بن حمد بن غيهب .
من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

آل ناصـــر :

ذرية ناصر بن حمد بن محمد بن سلمان بن عطية من بني زيد ويلقب بِالشَّنْفَرِي .

من آل حمد .
من آل سلمان .
من عطية من بني زيد .

آل ناصـــر :

ذرية ناصر بن محمد (الضُّعَيِّف) بن علي بن عطية من بني زيد .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الناصـــر :

في الدرعية .
من الخمِيس .
من آل مسلم .
من الضعفان .
من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الناصـــر :

في الشعراء .

من آل علي .
من عطية من بني زيد .

الناصـــر :

في الدوادمي وشقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من بني زيد .

الْهَدْلَـــق :

في شقراء .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

ألْهَدْيَـان :

ـ بفتح الهاء وإسكان الدال وياء مفتوحة ـ
في شقراء .
من آل سدحان .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

الهَمْـــلَان :

في الدوادمي .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الهواجِـــر :

ـ واحدهم هاجري ـ

في شقراء .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

الهُوَيْمِـل :

في القُوَيْعية والرَّيْن .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

اليابـس :

في القويعية .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .

اليحيـى :

في حوطة سدير .
من آل حرقوص .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد .
منهم والدي محمد بن عبدالرحمن اليحيى راوية معروف للشعر العامي ، النبطي وتاريخ وقائع نجد .

اليحيـى :

في شقراء ثم في الأحساء . ←

ماتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع
للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)
- ٤٧ -

٢٣١ ــ بابُ : جُوخَا وجَوْخَاء[١]

أَمَّا ٱلْأَوَّلُ : بِضَمِّ ٱلْجِيْمِ وَبِالْقَصْرِ ، ويُمَالُ أَيْضاً ــ : صُقْعٌ مِنْ سَوَادِ ٱلعِرَاقِ[٢] يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ محمدُ بْنُ عَبْدِالله بْنِ إِبْرَاهِيمَ ٱلْجُوخَانِيُّ ، سَمِعَ أَحْمَدَ ابنَ ٱلْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ ٱلْجَبَّارِ ، وَإِسْمَاعِيْلَ بْنَ مَنْصُورٍ الشَّيْعِيَّ ، وأَبَا بَكْرِ بنِ ٱلْأَنْبَارِيِّ ، وغَيْرَهُمْ[٣].

وأَمَّا الثَّانِي : ــ بِٱلْمَدِّ وفَتْحِ ٱلْجِيْمِ ــ : مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِيْ عِجْلٍ ، قُرْبَ زُبَالَةَ ، كَانَ يَسْلُكُهُ حَاجُّ وَاسِطَ[٤].

٢٣٢ ــ بابُ: جَيَّانَ ، وجَبَّانَ ، وجَنَّان ، وَجِنَانٍ ، وجَنَانٍ ، وَحِبَّانَ ،

من آل غيهب .
من آل بلدي .
من عطوي من بني زيد .

اليحيـــى :

في القراين .
من آل صالح .
من آل فياض .
من عطوي من بني زيد

وحَنَّانٍ ، وخُبَّان ، وخُنَانٍ[٥]

أمَّا ٱلْأَوَّلُ : ــ بَعْدِ الجيمِ ٱلْمَفْتُوحَةِ يَآءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مُشَدَّدَةً ، وآخِرهُ نُونٌ ــ : بَلَدٌ بِٱلْأَنْدَلُسِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ طَوْقُ بْنُ عُمَرَ بْنِ شَبِيْبٍ ٱلْجَيَّانِيُّ ، أَنْدَلُسِيٌّ رَحَلَ فِي طَلَبِ ٱلْحَدِيْثِ ، وسَمِعَ وَحَدَّثَ ، ومَاتَ هُنَاكَ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَمَانِيْنَ وَمِئَتَيْنِ[٦] .

وأَيْضاً قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى أَصْبَهَانَ ، ويُنْسَبُ إِلَيْهَا أَيْضاً ، قَالَهُ أَبُو مُوسَى ٱلْحَافِظُ[٧] .

وأَمَّا الثَّانِي : بَعْدَ ٱلْجِيْمِ بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : مِنْ أَعْمَالِ ٱلْأَهْوَازِ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ[٨] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ : ــ بَعْدَ ٱلْجِيْمِ نُوْنٌ ــ : حَفِيْرَةُ ٱلْجَنَّانِ السّورَجِيِّ رَحَبَةٌ مِنْ رِحَابِ ٱلْبَصْرَةِ[٩] .

وأَمَّا الرَّابِعُ : ــ بِكَسْرِ ٱلْجِيْمِ وتَخْفِيْفِ النُّوْنِ ــ : بَابُ ٱلْجِنَانِ مَوْضِعٌ بِالرَّقَّةِ ، رَقَّةِ الشَّام[١٠] .

وأَمَّا ٱلْخَامِسُ : ــ بَعْدَ ٱلْجَيْمِ ٱلْمَفْتُوحَةِ نُوْنٌ مُخَفَّفَةٌ ــ : مَوْضِعٌ نَجْدِيٌّ[١١] .

وَأَمَّا السَّادِسُ : ــ أَوَّلُهُ حَآءٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ ثُمَّ بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : سِكَّةُ حِبَّانَ مِنْ مَحَالِّ نَيْسَابُورَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ ٱلْجَبَّارِ ٱلْحِبَّانِيُّ[١٢] .

وَأَمَّا السَّابِعُ : ــ بَعْدَ ٱلْحَاءِ ٱلْمَفْتُوحَةِ نُوْنٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : رَمْلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَٱلْمَدِينَةِ ، قُرْبَ بَدْرٍ ، وَهُوَ كَثِيْبٌ عَظِيْمٌ كَٱلْجَبَلِ ، قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ ــ فِي مَسِيْرِ النَّبِيِّ ﷺ إِلى بَدْرٍ ــ : فَسَلَكَ عَلَى ثَنَايَا يُقَالُ لَهَا ٱلْأَصَافِرِ ، ثُمَّ انْحَطَّ مِنْهَا عَلَى بَلَدٍ يُقَالُ لَهَا الدَّبَّةُ ، وتَرَكَ ٱلْحَنَّانَ يَمِيْناً ، وَهُوَ كَثِيْبٌ عَظِيْمٌ كَٱلْجَبَلِ ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيْباً مِنْ بَدْرٍ[١٣] .

وَأَمَّا الثَّامِنُ : ــ أَوَّلُهُ خَآءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ ، بَعْدَهَا بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : قَرْيَةٌ بِٱلْيَمَنِ قُرْبَ نَجْرَانَ ، وَهِيَ قَرْيَةُ ٱلْأَسْوَدِ ٱلْكَذَّابِ[١٤] .

وَأَمَّا التَّاسِعُ : ــ بَعْدَ ٱلْخَاءِ ٱلْمُعْجَمَةِ ٱلْمَضْمُومَةِ نُوْنٌ ــ : مَدِيْنَةٌ مِنْ بِلَادِ جُرْزَانَ ، وهِيَ مَنْ فُتُوحِ حَبِيْبِ بْنِ مَسْلَمَةَ(١٥).

الهوامش :

(١) في كتاب نَصْرٍ ، في بَابِ الجيم ، ولكنَّهُ قَدَّم الثَّاني فَقَالَ : (بَابُ جُوْخَاءَ ، وجَوْخَا) .

(٢) لَمْ يَزِدْ نَصْرٌ في تَعْرِيفِ هذَا على قَوْلِهِ : وأَمَّا بِالْقَصْرِ وَٱلْإِمَالَةِ ــ : صُقْعٌ مِنْ سَوَادِ ٱلعِرَاقِ ، وأَيْضاً : مِنَ ٱلْأَمَاكِنِ النَّجْدِيَّةِ انتهى . وقَالَ ياقوتُ في «المعجم» : جُوخَا ــ بالضَّمِّ وٱلْقَصْرِ ، وقَدْ يُفْتَحُ ــ : اسْم نَهْرٍ عَلَيْهِ كُورَةٌ وَاسِعَةٌ ، في سَوَادِ بَغْدَادَ ، بِالْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ منه ، الرَّاذَانان ، وهُوَ بَيْنَ خَانِقِينَ وخُوزِسْتَانَ . قالُوا : ولَمْ يَكُنْ بِبَغْدَادَ مِثْلُ كُورَةِ جُوْخَا ، وكَانَ خَرَاجُهَا ثَمَانِينَ ٱلْفَ ٱلْفِ دِرْهَم حَتَّى صُرِفَتْ دِجْلَةُ عَنْهَا فَخَرِبَتْ ، وأَصَابَهُمْ بَعْدَ ذَالِكَ طَاعُونُ شِيْرَوَيْهِ فأَتَى عَلَيْهِمْ ، ولَمْ يَزَلِ السَّوَادُ وفَارِسُ في إِدْبَارٍ مِنْذُ كَانَ طَاعُونُ شِيْرَوَيْهِ . وقال زِيَادُ بْنُ خَلِيفَةَ ٱلْغَنَوِيُّ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً ... بِبَيْشَاءَ لَاتُؤْذِي عِيَالِيْ بُقُوقُهَا
وَهَلْ تَأْخُذَنِّيْ لَيْلَةً ذَاتَ لَذَّةٍ ... يَدُ الدَّهْرِ ذَاكٍ رَغْدُهَا وَيُرُوْقُهَا
مِنَ ٱلْوَاسِقَاتِ ٱلْمَاءَ حَوْلَ ضَرِيَّةٍ ... يَمُجُّ النَّدَى لَيْلَ التَّمَامِ عُرُوْقُهَا
هَبَطْنَا بِلَاداً ذَاتَ حُمًى وَحَصْبَةٍ ... وَمُوْمٍ ، وإِخْوَانٍ مُبِيْنٌ عُقُوقُهَا
سِوَى أَنَّ أَقْوَاماً مِنَ النَّاسِ وَطَّنُوا ... بِأَشْيَاءَ لَمْ يَذْهَبْ ضَلَالاً طَرِيْقُهَا
وَقَالُوا : عَلَيْكُمْ حَبُّ جُوخَا وسُوقُهَا ... وَمَا أَنَا؟ أَمْ مَاحَبُّ جُوخَا وَسُوقُهَا

قَال الفَرَّاءُ : وَطَّشَ له إِذَا هَيَّأَ لَهُ وَجْهَ ٱلْكَلَامِ أَوِ العِلْمِ أَوِ الرَّأْيِ ، يُقَالُ : وَطِّشْ لِيْ شيئاً حتَّى أذكره ، أي افتح . انتهى كلام ياقوت وعن تَغْيِيرِ مَجْرَى دِجْلَةَ انظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» ــ ٤٥ ــ وقَدْ سَمَّى البكريُّ في «معجم ماستعجم» الموضع جوْخَى وقَالَ : بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وإِسْكَانِ ثانيه وبِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ ، عَلَى وَزْنِ فَعْلَى ، وَهُوَ مَاسُقِيَ مِنْ نَهْرِ جَوْخَى ، قَالَ محمدُ بْنُ سَهْلٍ : لَمْ يَكُنْ بِالعِرَاقِ عِنْدَ ٱلْفُرْسِ كُورَةٌ تَعْدِلُ كُورَةَ جَوْخَى ، كانَ خَرَاجُهَا ثَمَانِينَ ٱلْفَ ٱلْفٍ ، ثم أورد البيت : وقَالُوا : عَلَيْكُمْ حَبُّ جَوْخَى ــ غير مَنْسُوبٍ .

(٣) أبو بكر محمدَ بْنَ عبدالله هذا الذي نَسَبَهُ ٱلْحَازِمِيُّ إلى جُوخا ــ نَسَبَهُ ياقُوتُ إلى جَوْخَانَ بُلَيْدَةٌ من نواحي الْأَهْوَازِ ، ونَسَبَهُ السَّمْعَانِيُّ في «الأَنْسَابِ» ــ : ٣٨٦/٣ ــ إلَى جُوْخَانَ وقال : هذِهِ النِّسْبَةُ إلى جُوْخَانَ ، وهِيَ لُغَةُ أَهْلِ البَصْرَةِ ، وَيُقَالُ للموضِعِ الذي يُجْمَعُ فيهِ التَّمْرِ إِذَا جُنِيَ مَنَ النَّخْلَةِ جُوخانَ ، وَهِيَ كَالْكِدْسِ للحبُوبِ ، والْمَنْسُبُ إِلَيْهَا أَبو بكرٍ محمدُ بْنُ عبدالله إلى آخر ماذكر ، ولكِنَّ محقِّقَ الكتَابِ الشيخ عبدالرحمن الْمُعَلِّمِيَ ــ رحمه الله ــ عَلَّقَ على كلامِهِ بعد أَنْ أَوْرَدَ ماذَكَرَ حَمْزَةُ الأَصْفهانيُّ في «تاريخ جُرْجان» ــ ٤٦٣ ــ أن جوجان مَجْمَعُ التَّمْرِ كالكَرِيْبِ للْحُبُوب ، ولَمْ يَذْكُرْ رَجُلاً يُنْسَبُ إِلَيْهِ . وأَوْرَدَ عن «الإكمال» ذِكْرَ جُوخَا ، ونِسْبَةَ أبي بَكْرٍ محمد بن عُبَيدالله إليها ، كما أورد مافي «معجم البلدان» ــ وخَتَمَ كَلَامَهُ بقولِهِ : وَالَّذي يَتَرَجَّحُ لِي أَنَّ ٱلْجَوْخَانَ الَّذِي ذَكَرَهُ حَمْزَةُ لَمْ يَتَحَقَّقْ نِسْبَةُ أَحَدٍ إِلَيْهِ ، وأَنَّ أَبابَكْرٍ ــ محمد بْنَ عُبَيدالله ــ مَنْسُوبٌ إلى جُوخَا ــ بالضَّمِّ وٱلْقَصْرِ ــ وكانَ حَقُّ النِّسْبَةِ (جُوخَاوِي) أَوْ (جُوخِي) لكنَّهُمْ قَدْ يُعَامِلُونَ ٱلْمَقْصُورَ الأَعْجَمِيَّ مُعَامَلَةَ ٱلْمَمْدُوْدِ ، كما في (الجَبَّائِي) راجع «الإكمال» بِتَعْلِيقِهِ ، فَعَلَى هَذَا أَبُو بَكْرٍ المذْكُورُ (جُوخائي) هذا الَّذِيْ يَتَرَجَّحُ ــ ويَحْتَمِلُ غيرُهُ ــ أَعْنِي بالنُّوْنِ مَعَ ضَمِّ الجيمِ أَوْ فَتحها . انتهى .

وأبوبكر مُحَمَّدُ ذكر مُتَرجَمُوهُ ــ كياقُوتٍ وقَبْله السَّمْعَانيّ في «الأنساب» أنه سَمِعَ أبابكر محمد بْن الحسن بن دُرَيْدٍ ، وأَبَابَكْرٍ مُحَمَّدَ بنَ القاسم بْنِ بَشَّارٍ الأَنْبَارِيَّ ، وذكر ياقوتُ أن السِّلَفِيَّ سَمِعَ مِنْهُ ، وقال عنه في «مُعْجَمِ السَّفَرِ»: سَأَلْتُهُ عَنْ مَوْلِدِهِ فقال: سنة ٤٣٣ في المحرم .

(٤) في مخطوطة (ب): كَانَ يَنْزِلُهُ حَاجُّ واسِطَ . وقال نَصْرٌ : أُمَّا ٱلْمَمْدُودِ : مَوْضِعٌ بَيْنَ عَيْنِ صَيْدٍ وزُبَالَةَ ، مِنْ دِيَارِ عِجْلٍ ، كَانَ قَدِيْماً طَرِيْقاً لِلْحَاجِّ مِنْ وَاسِطَ . انتهى ولَمَّا أَوْضَحَ يَاقُوتُ ٱلْمَعْنَى اللُّغَوِيَّ لِلْجَوْخَاءِ واشْتِقَاقَ ٱلاسْمِ من الانْبِيَارِ قال: وَهُوَ مَوْضِعٌ بِٱلْبَادِيَةِ بَيْنَ عَيْنِ صَيْدٍ وزُبَالَةَ ، في دِيَارِ بني عِجْلٍ ، كانَ يَسْلُكُهُ حَاجُّ واسِطَ ، وَقَدْ قَصَرَهُ أَبُو قُصَاقِصَ لاحِقُ النَّصْرِيُّ الأَسَدِيُّ فقالَ :

قِفَا تَعْرِفَا الدَّارِ الَّتِي قَدْ تَأَبَّدَتْ بِحَيْثُ ٱلْتَقَتْ غُلَّانُ جَوْخَا وتَنْطَحُ

وعَيْنُ صَيْدٍ بَلْدَةٌ لاتزالُ مَعْرُوفَةً في سَوَادِ ٱلعِرَاق ، وزُبَالَةُ كَانَتْ مِنْ أَشْهَرِ مَنَازِلِ حَاجِّ ٱلكُوفَةِ ، ولا تَزَالُ معروفَةً داخِلَ حُدُودِ المَمْلَكَةِ المواليَةِ لِلْعِرَاق ، لاتَزَالُ أَطْلاَلُ قُصُورِهَا ، وكَثِيرٌ من آبَارِهَا بَاقِيَةً وفي (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» تَحْدِيْدُ لِمَوْقِعِهَا . على أنه يُفْهَمُ من اسْتِعْرَاض (ألويس موزل) لوصف طَرِيقِ وَاسِطٍ إلى الثَّعلبيَّة في كتاب «جهان نما» أَنَّ جَوْخَا لاتزال معروفة ــ انظر مجلة «العرب»: س: ٧ ص: ٢٠٥ ــ

(٥) في كتاب نَصْرٍ في (حَرْفِ ٱلْحَاءِ): بَابُ خَبَّان ، وَخُبَانَ ، وَخُنَانَ ، وَحَنَّانٍ ، وَجَنَّانَ ، وَجِبَّانَ ، وَجَنَّان ، وَجِنَانٍ ، وَجُبَار ، وَجِيَار ، وَجَيَّار ، وخَبَار .

(٦) قال في «مُعْجَم البلدان»: جَيَّانُ مَدِينَةٌ لَهَا كُورَةٌ وَاسِعةٌ بِٱلأَنْدَلُس ، تَتَّصِلُ بِكُورَةِ ٱلْبِيْرَةِ ، مَائِلَةٌ عَنِ ٱلْبِيْرَةِ إِلَى نَاحِيَةِ ٱلْجُوْفِ فِي شَرْقِيِّ قُرْطُبَةَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ قُرْطُبَةَ سَبْعَةَ عَشَرَ فَرْسَخاً ، وهِيَ كُورَةٌ كَبِيْرَةٌ تَجْمَعُ قُرًى كَثِيرةً وبُلْدَاناً ، وكُورَتُهَا مُتَّصِلةٌ بِكُورَةِ تَدْمِيْرَ وَكُورَةِ طُلَيْطِلَةَ ثُمَّ ذَكَرَ بَعْضَ المَنْسُوبِيْنَ إِلَيْهَا ، ولَمْ يَذْكُرْ طوْقَ ابْنَ عَمْرٍو ، وفي «الرَّوْضِ المِعْطَارِ» ــ ١٨٣ ــ وَصْفٌ مُفَصَّلٌ لِجَيَّانَ ، وذَكَر (بروفِنْسَال) في «صفة جزيرة الأندلس»: ٨٨ ــ: أنَّها تُعْرَفُ الآن بِـ (JEAN) .
وذَكَرَ السَّمْعَانِيُّ طَوْقاً ، وقالَ: إنَّهُ تَغْلَبِيٌّ نَقْلاً عنِ ابْنِ يُونُس ، وسَمَّى أباه عَمْراً ــ طَوْق بن عَمْرِو بن شَبِيبَ .

(٧) ذَكَرَ ياقُوتُ جَيَّانَ الَّتِي مِنْ قُرَى أَصْبَهَانَ ، نَقْلاً عما حدَّثَهُ بِهِ مِنْ وَصْفِها ٱلْحَافِظُ ابنُ النَّجَّارِ ، وَذَكَرَ مِنَ المَنْسُوبِينَ إِلَيْهَا طَلْحَةَ بْنَ ٱلأَعْلَمِ ٱلْحَنَفِي الجَيَّانِي ، رَوَى عَنِ الشَّعْبِيِّ ، ورَوَى عَنْهُ الثَّوْرِيُّ ، ولكنَّ السَّمْعَانِيَّ عَدَّ طلحة هذا مِنْ جَيَّانَ مِنْ قُرَى الرَّيِّ لاقُرَى أَصْبَهَانَ ، وَفَصَّلَ ترجَمَتَهُ ، ولعَلَّ السَّمْعَانِيَّ أعْرَفُ بِتِلْكَ البِلاَدِ ، إِذْ هُو مِنْ أَهْلِهَا ، وكَذَا أَبُو مُوسَى المَدِيْنِيُّ ٱلْحَافِظُ شَيْخُ ٱلْحَازِمِيِّ ، وهو مُحمدُ بْنُ عُمَر ابن أَحْمَدَ بنِ عُمَرَ الأَصْبَهَانِيُّ (٥٠١/٥٨١هـ) وٱلْمَدِيْنِيُّ نِسْبَةٌ إِلَى مَدِينَةِ أَصْبَهَانَ ، وانظر ترجمته في كتاب «سِيَر أعلام النبلاء» ج ٢١ ص ١٥٢ ومابعدها وفي «الأعلام» للزركلي ــ

(٨) جَيَّانُ : قالَ نِصْرٌ ــ بِكَسْرِ الجِيْمِ وتَشْدِيْدِ ٱلْبَاءِ ٱلْمُوَحَّدَةِ ــ : نَاحِيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ ٱلأَهْوَازِ ، فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ . ونَقَلَ هذا ياقُوتُ في «المعجم» بِنَصِّهِ مَنْسُوباً إلى نَصْرٍ ولَمْ يَزِدْ .

(٩) جُفْرَةُ ٱلجنانِ : لم يَزِدْ نَصْرٌ عَلَى قَوْلِهِ : وبِفَتْحِ ٱلْجِيْمِ ونُوْنَيْنِ ــ : جُفْرَةُ ٱلْجَنَّانِ السَّورجي رحبةٌ من رِحَابِ البَصْرَةِ ، في ٱلْجَانِبِ الرَّبعيِّ مِنْها ــ فِيمَا أَظُنُّ ــ وأَغْرَبَ ياقُوتُ في قولِهِ ــ في رسم جِنَان بِٱلْكَسْرِ جَمْعُ جَنَّةٍ ــ : وَبَابُ الجَنَانِ السورجيّ : رحبةٌ مِنْ رِحَابِ البَصْرَةِ ، في جَانِبِ بَنِي رَبِيْعَةَ في ظَنِّ نَصْرٍ ، فهو سَمَّى الموضع باباً ، لاجُفْرَةً ولا حَفِيرةً ، ووَرَدَ الاسْمُ في مَخْطُوطَةِ الحازمي (الجَنَّان) وعلى الجيم فَتْحَةٌ والنُّونُ مُشَدَّدَةٌ ، وكذا في مخطوطةِ كتاب نَصْر .

(١٠) ٱلْجِنَان: قال نَصْرٌ : ــ بِكَسْرِ ٱلْجِيمِ وتَخْفِيفِ النُّون : ــ بَابُ ٱلْجِنَانِ مَوْضِعٌ بالرَّقَّةِ . ومافِي «مُعْجَم البُلدان» هُوَ نَصُّ مَافِي كِتابِ ٱلْحَازِمِيِّ بِدُوْن زِيَادَةٍ ، ولانِسْبَةٍ لِقَائِلٍ .

(١١) ٱلْجِنَانُ : عِنْدَ نَصْرٍ ــ بِفَتْحِ ٱلْجِيْم ونُونٍ خَفِيفَةٍ ــ : جَبَلٌ أَوْ وَادٍ نَجْدِيٌّ . وَزَادَ ياقُوتُ: قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ :

أَتَاهُنَّ لَبَّانٌ بِبَيْضِ نَعَامَةٍ حَوَاهَا بِذِي اللِّصْبَيْنِ فَوْقَ جَنَانِ

لَبَّانُ: اسْمُ رَجُلٍ . وَكَانَ جَنَانُ مَنْزِلاً مِنْ مَنَازِلِ ٱلْحُضْرِ مِنْ مُحَارِبٍ ، وَكَانَ بِهِ كَأْسُ صاحِبَةُ صَخْرِ بْنِ ٱلْجَعْدِ ٱلْحُضْرِيِّ ، وَكَانَتِ ارْتَحَلَتْ عَنْهُ فِي قَوْمِهَا إِلَى الشَّامِ ، فَمَرَّ بِهِ صَخْرٌ فَبَكَى بُكَاءً مُرًّا ، ثم أَنْشَأَ يَقُولُ :

بَلِيْتُ كَمَا يَبْلَى الرِّدَاءُ وَلَا أَرَى جَنَاناً وَلَا أَكْنَافَ ذُرْوَةَ تَخْلَقُ
أَلَوِّيْ حَيَازِيمِي بِهِنَّ صَبَابَةً كَمَا يَتَلَوَّى ٱلْحَيَّةُ الْمُتَشَرِّقُ

ولَم أَرَى تَحْدِيْداً لِمَوْقِعِ جَنَانٍ هذا ، وبِلادُ مُحارِبٍ كانَتْ تَقَعُ فِي عَالِيَةِ نَجْدٍ ، غَرْبَ وادي ٱلْجَرِيب (ٱلْجَرِير الآن) ومنها ذُو طَلَال وذُو جِسَاءٍ (الحِسْيُ) وقَدْ حدَّدَها صاحبُ كتاب «بلاد العرب» .

(١٢) لَمْ يذكُرْهُ نَصْرٌ ، ولَمْ يَزِدْ ياقوتُ فِي «معجم البُلْدانَ» عَلَى مافِي كتَابِ ٱلْحَازِمِي إلَّا فِي اشْتِقَاقِ كَلِمَةِ جِبَّانَ حَيْثُ قَالَ : كَأَنَّهُ تَثْنِيَةُ حِبٍّ ، وهُوَ ٱلْحَبِيْبُ ، وٱلْحِبُّ ٱلْقُرْطُ مِنْ حَبَّةٍ واحِدَةٍ ، وَسِكَّةُ جِبَّانَ ــ الخ ــ ولَمْ يَزِدْ السَّمْعَانِيُّ فِي «الأنساب» ــ ٤٠/٤ ــ على ذكر محمدِ بْن جَعْفَرٍ كَمَا سَاقَ الحازِمِيُّ إلَّا بِقَولِهِ : قالَ أَبُو ٱلْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ ٱلْمَقْدِسِيُّ : هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى سِكَّةِ جِبَّانَ ، أَظُنُّهُ نَيْسَابُورِياً . وَكَذَا فِي كتابِ محمد بْنِ طَاهِرٍ «الأَنْسَابُ المُتَّفِقَة» ــ ٣٦ ــ

(١٣) ٱلْجَنَّان : قَالَ نَصْرٌ: وَبِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ ــ مَفْتُوحَةٍ وَنُونَيْنِ ــ : رَمْلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وٱلْمَدِينَةِ ــ ثُمَّ نَصُّ مَاوَرَدَ فِي كِتَابِ ٱلْحَازِمِيِّ إِلَى مِنْ بَدْرٍ ، وأَضَافَ نَصْرٌ : كَذَا يَقُولُهُ أَصْحَابُ ٱلْحَدِيْثِ : (الدَّبَّة) وعِنْدِي أَنَّها (الدُّبَّة) لِأَنَّ مَعْنَاهَا مُجْتَمَعُ الرَّمْلِ ، وقَدْ جَاءَ دُبَابُ ودَبَّابُ فِي أَسْمَاءِ مَوَاضِع ، ومَوْضِعٌ آخَرُ ، ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍو . انتهى كلام نَصْرٍ . وفي «معجم البلدان»: ٱلْحَنَانُ : بالفتح والتخفيف ، وٱلْحَنَانُ فِي اللغة الرحمة ، قال الزَّمَخْشَرِيُّ : الْحَنَانُ كَثِيبٌ كبيرٌ كَٱلْجَبَلِ ، وقال نَصْرٌ: ٱلْحَنَّانُ ــ بتشديدِ النُّونِ مَعَ فَتْحِ أَوَّلِهِ ــ : رَمْلٌ بَيْنَ مكة ــ ثم أَوْرَدَ مَافِي كتاب ٱلْحَازِمِيِّ مَنْسُوباً إِلَى نَصْرٍ ــ إلى : ثم نَزَلَ قَرِيْباً من بَدْرٍ ، وزادَ : فَمَعْنَى ٱلْحَنَّانِ بالتشديد ــ إِذَنْ : ذُو الرَّحْمَةِ ، ويُقَالُ أَيْضاً : طَرِيْقٌ حَنَّانٌ أَيْ وَاضِحٌ ، وأَبْرَقُ ٱلْحَنَّانِ ذُكِرَ فِي مَوْضِعِهِ . انتهى فهو قَدْ خَلَط فِي ضَبْطِ الاسم بين كلام نَصْرٍ وكلام الحازِمِيِّ ، مع أنه اطلَعَ على كلام نَصْرٍ ، لِأَنَّهُ أَوْرَدَ مِنْهُ مايَتَعَلَّقُ بالدَّبَّةِ مَنْسُوباً إليه . أَمَّا تفسير كلمة (ٱلْحَنَّانِ) بالنسبة لهذا الموضع فَيَظْهَرُ أَنَّ ٱلْحَنَّانَ ــ بِتَشْدِيْدِ النُّونِ ــ كَالْعَزَّافِ ــ لِأَنَّهُ يُسْمَعُ مِنْه صَوْتٌ كَالْحَنِيْنِ ، أو كَالْعَزِيْفِ ، وكَانَ بَعْضُ جُهَّالِ ٱلْعَرَبِ يتخيَّلُون ذالِكَ مِنْ أَصْوَاتِ ٱلْجِنِّ ، وٱلْوَاقِعُ أَنَّهُ مِنْ فِعْلِ الرِّيَاحِ ، حِيْنَ تَسْفُو الرِّمَالَ فَتَرَاكَمُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، ثُمَّ تَسْقُطُ فَيُحْدِثُ سُقُوطُهَا دَوِياً كَالْحَنِيْنِ أو الْعَزِيفِ ، أَوْ صَوْتِ الطَّبْلِ ، حَتَّى تَخَيَّلَ بَعْضُ الرَّحَّالِيْنَ مِمَّنْ مَرَّ بِبَدْرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِيْنَ أَنَّ ذالِكَ صَوْتُ طَبْلِ ضَرَبَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ حِيْنَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، وَتَكَرَّرَ ذِكْرُ هذه الخُرَافَةِ فِي كَثِيرٍ من رِحْلَاتِ الحجِّ ، كرِحْلَةِ ٱلْعَيَّاشِي «ماء الموائد» ورِحْلَتَيِ الدرعيَّيْنِ ابن نَاصِرٍ وابْنِ عبدالسَّلَامِ وغَيْرِهِمَا ــ وانظر لِتَفْنِيدِ هذه ٱلْخُرَافَة «العرب» س ٢١ ص: ٢٨١ ــ وضَبْطُ ياقُوتٍ لِكَلِمة (ٱلْحَنَان) بِتَخْفِيفِ النُّونِ لَايَتَّفِقُ مَعَ مَاوَرَدَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمؤلَّفَاتِ مِنْ أَنَّها فِي اسْمِ هذا الْمَوْضِعِ الْقَرِيبِ مِنْ بَدْرٍ بالتَّشْدِيْدِ ، وكذَا وَرَدَتْ فِي قَصِيْدَةِ أُمَيَّةَ ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ فِي رثائِهِ قَتْلَى بَدْرٍ الَّتِي أَوْرَدَهَا ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّة»: ٢ ص : ٣٠ ـ وغيره قال :

مَـاذَا بِبَـدْرٍ والْـعَقَنـ ـقَـلِ مِـنْ مَـرَازِبَةٍ جَحَـاجِـحْ
فَمَـدَافِـعُ الْبُـرْقَـيْنِ فَالْثُّـ ـنَّـانِ مِـنْ طَـرَفِ الْأَوَاشِـحُ

ونَصَّ خَبَر مَسِير رَسُول الله ﷺ على مَاوَرَدَ في «السِّيْرَة النَّبويَّة» ـ ١/ ٦١٥ ـ مِنْ كَلَام ابن إسْحَاقَ : ثم ارْتَحَلَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ ذِفِرَانَ ، فَسَلَك على ثَنَايَا يُقَالُ لَهَا الْأصافِر ، ثُمَ انْحطَّ مِنْهَا إلى بَلدٍ يُقَالُ لهُ الدَّبَّة ، وتَرَكَ الْحَنَّانَ بِيَمِيْنٍ ، وهُوَ كَثِيْبٌ عَظِيْمٌ كَالْجَبَلِ **الْعَظِيم** ، ثُمَّ نَزَلَ قَرِيْباً مِنْ بَدْرٍ .

ذَفِرَان ـ بالذَّال معجمة بعدها فَاءٌ فَرَاءٌ فألِفٌ فنُون ـ وادٍ صَغيرٌ يَقَعُ يَمِينَ الْمُتَّجِهِ إلَى نَدْرٍ من الْمُسَيْجِيد (الْمُنصَرَف) حِيْنَ يُقْبِلُ عَلَى مَضِيْقِ الصَّفْرَاء ، ومِنْهُ ثنِيَّةٌ تُدْعَى ذَفْرَانَ تَنْزِلُ على الحَمْرَاءِ مِنْ أَوْدِيَةِ الصَّفْرَاء ، وتُسْلَكُ للمتَّجِهِ إلى يَنْبُع ، والأصافِرُ حَالٌ معروفَةٌ فيها ثَنَايَا تُسْلَكُ إلى الصَّفْرَاء ، وسَمَّاهَا السُّمْهُودِيُّ في «وَفَاءِ الوفَاء» وفي «خلاصة الوفَاء» الأَضَافِر ـ بالضَّادِ المعجمة ـ جَمْعُ ضَفِيرَةٍ ، وتابعه العباسي في كتاب «عُمدة الأخبار» وأرَى الاسْمَ تَصحَّفَ عَلَى السُّمْهُودِيِّ كما تَصَحَّفَ عليه الاسم الواقِعُ بقُرب ثنِيَّةِ هَرْشَا (الأصافِرُ) وهي معروفةٌ بِهَذا الاسم الآن .

الدَّبَّةُ : وَرَدَتْ في مخطوطتي كتابَيْ نَصْرٍ والْحَازِمِيِّ مُشَدَّدَةَ الباء الْمُوَحَّدَةِ ، وجَاءَ في «معجم البلدان» : الدَّبَّةُ ـ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وتخفيف ثانيه ـ : بَلَدٌ بَيْنَ الأَصَافِرِ وبَدْرٍ ، وعَلَيْه سَلَك النبي ﷺ لَمَّا سَارَ إلى بَدْرٍ ، قالَهُ ابْنُ إسْحَاقَ ، وَضَبَطَهُ ابْنُ الْفُرَاتِ في غَيْرِ مَوْضع . وقَالَ نَصْرٌ : كَذَا يقولُهُ أَصْحَابُ الْحَدِيْثِ ، والصَّوابُ الدَّبَّةُ ، لأَنَّ مَعْنَاهُ مُجْتَمَعُ الرَّمْلِ ، وقد جاء دِباب ودَبَّاب في أَسْمَاءِ مَوَاضِعَ . قُلْتُ أنا : قَالَ الجوهريُّ . الدَّبَّةُ الَّتِي يُحَطُّ فيها الدُّهْنُ ، والدَّبَّةُ أيضاً : الْكَثِيبُ مِنَ الرمْلِ ، والدُّبَّةُ ـ بالضَّمِّ ـ الطَّرِيْقُ . انْتَهى كَلَامُ ياقُوت ، فَهَل اطَّلَعَ على نسْخَةٍ أُخرَى مِنْ كتاب نَصْرٍ ؟ فَالنُّسْخَةُ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيْنَا تَقَدَّمَ نَصُّ مافِيها ، وهُوَ في ضَبْطِ الدَّال ـ بالفتح وبالضَّمِّ بِدُون تَعَرُّض لِضَبْطِ الْبَاءِ إلَّا في كَلَامِهِ على (دُبَاب) و(دبَّاب) في هذين الاسمين بِدُونِ إشَارَةٍ إلى (الدَّبة) . ويُفْهَمُ مِنْ سِيَاقِ الْخَبَر أنَّ الدَّبَّةَ أرْضٌ ذَاتُ رَمْلٍ في وَادي الصَّفْرَاءِ قَرِيْبَةٌ مِنَ الحَنَّانِ .

والْحَنَّانُ كَثِيْبٌ عَظِيمٌ مِنَ الرَّمْلِ ، يُشَاهَدُ مِنْ بَلْدَةِ بَدْرٍ في شَمَالِهَا رَأْيَ الْعَيْنِ ، ويُسَمَّى الآن (فَوْزَ عَلِيٍّ)

(١٤) خُبَان : عِنْدَ نَصْرٍ : وَبِضَمِّ الْخَاءِ ـ : بِالْيَمَنِ ، قُرْبَ نَجْرَانَ ، وَهِيَ قَرْيَةُ الْأَسْوَدِ الْكَذَّاب ، وفي «معجم البلدان» : خُبَّانُ ـ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وتَشْدِيْد ثانِيهِ ويُخَفَّفُ ، وآخِرُهُ نُوْنٌ ، ويَجُوزُ أنْ يكُونَ فُعْلَانَ من الحَبّ ـ : وهي قَرْيَةٌ بِالْيَمَنِ ، في وَادٍ يُقَالُ لَهُ وادِي حُبان ، قُرْبَ نَجْرَانَ ، وهِيَ قَرْيَةُ الْأَسْوَدِ الْكَذَّابِ ، وفي كِتَابِ «الفُتُوح» : وكَانَ أَوَّلُ ماخَرَجَ الْأَسْوَدُ العَنْسيُّ ـ واسْمُهُ عَبْهَلَةُ بْنُ كَعْبٍ ـ أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ كَهْفِ خُبَان ، وَهِيَ كَانَتْ دَارُهُ ، وبِهَا وُلِدَ ونَشَأَ . انتهى . وَعَلَّقَ القَاضِي إسماعيلُ الْأَكْوَعُ على هذا بقوله : ـ عَنِ الْقَرْيَةِ ـ : خُبَانُ هذه تَقَعُ شَمَالَ نَجْرَانَ ، وهُنَاكَ خُبَّانُ أُخرَى بِتَشْدِيْدِ الْبَاءِ ، وهِيَ ناحِيَةٌ كَبِيْرَةٌ مِنْ أَعْمَالِ يَرِيْم . . وخُبَان عُزْلَةٌ مِنْ مَغْرِب عَنْس ، وأَعْمَالِ ذَمَار . انتهى . وذَكَرَ الْحَجْرِيُّ في «مجموع بلدان اليمن» : خُبَانُ ـ بِوَزْنِ غُرَاب ـ : وادٍ مشهور فِيهِ مَزَارِعُ وقُرَى وعُيُونٌ جَارِيَةٌ ، وبِهِ سُمِّيَتْ نَاحِيَةُ خُبَانَ مِنْ أَعْمالِ يَرِيْم ، وخُبَانُ ـ أيضاً ـ : بَلْدَةٌ مِنْ مَغْرِب عَنْس ـ . وحَدَّدَ الْمَقْحَفيُّ المسافَةَ بين صَنْعَاء ويَرِيْم في كتاب «معجم البلدان والقبائل **اليمنية**» فقال ـ ٧٥٧ ـ : يَرِيمُ مدينة في الجنوب من صَنْعَاء بمسافةِ (١٠٥) من الأكيال ، ودكر من أَوْدِيَتِهَا حُبَان وبَنَا ، وذكَرَ في رسم خُبَان : خُبَانُ ناحِية واسعةٌ بِذِي رُعَيْنٍ شرقيَّ ظفارٍ وجَنُوبَه ، وقَرْيَةٌ ناحية وُصَاب قضاء ذَمَار ، وخَبَّانُ ـ بفتح الخاءِ وتشديد الباء ـ : وَادِيَانِ يَقَعَانِ شرقَ شمالِ جَبَل بَرَط ، في بلاد دُهْمَةَ مِنْ هَمْدَان في الشمال الشرقي من صَنْعَاء بمسافة ٢٣٢

كيلاً . أَطَلْتُ النَّقْلَ للإيضاح ، فالمواضِعُ التي تُدْعَى خُبَانَ بتخفيف الْبَاءِ وبتَشْدِيْدِهَا مُتَعَدِّدَةٌ في الْيَمَنِ ، فَمِنْ أَيِّهَا كَانَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ ؟ في كَلَامِ نِصْرٍ والحازميِّ وياقُوتٍ أَنَّهُ مِنْ خُبَانَ نَجْرَانَ ، ولَمْ أَرَ في كِتَابِ «فُتُوحِ الْبُلْدان» لِلْبَلَاذُرِيِّ ماأَوْرَدَ يَاقُوتُ ، ونَجْرَانُ لَيْسَتْ مِنْ بِلَادِ عَنْسٍ ، فَبِلَادُ هَاؤُلَاءِ ــ على مافي كِتَابِ «صفَةِ جزيرة العرب» ــ ١٧٩ ــ أوّل ماتَخْرجُ من ذَمَار مُتَوَجِّهاً نَحْو المشرقِ بقدر فرسخين . . وبِخِلَافِ ذَمَار ــ ٢٠٦ ــ إلى مواضع أخرى كلها في وسط بلاد اليمن غرب منطقة نَجْرَانَ ، وإِذَنْ خُبانُ قَرْيَةُ الْأَسْوَدِ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ في بِلَادِ قَوْمِهِ ، عَنْسٍ فَهِيَ الوارِدُ ذكرها مِنْ أَعْمَالِ ذَمَارٍ ، ويَدُلُّ على هذا ماذكرهُ ابْنُ جَرِيْرٍ ، في «تاريخ الأمم والملوك» حوادث سنة إحدى عشرة ونَصُّهُ: كَانَ الْأَسْوَدُ كاهِناً شِعْبَاذاً ، وكانَ أَوَّل ماخَرَجَ أَنْ خَرَجَ مِنْ كَهْفِ خُبان ، وكانَتْ دَارُهُ ، وَبِهَا وُلِدَ ونَشَأَ ، فَكَاتَبَتْهُ مَذْحِجُ ، وَوَاعَدَتْهُ نَجْرَانُ ــ إلى آخر مافَصَّل مِنْ أخباره ــ فذهَابُهُ إلى نَجْران كَانَ مِنْ قريته التي في بِلَادِ قَوْمِهِ ، ولَمْ يكنْ مِنْ خُبَانِ التي بِقُرْبِ نَجْرَانَ ، والتي تُعْرفُ الآن ــ على ماظَهَرَ لِي ــ بِاسْمِ (خُبَاش) بِإِبْدَالِ النُّونِ شِيْناً ، عَلَى أَنَّ البَكْرِيَّ في «معجم مااستعجم» قال عن (خَبَّان : ــ بفتح أَوَّلِهِ وتَشْدِيْدِ ثانيه ــ: أَرْضٌ بِأَسْفَلِ نَجْرَانَ مِنْ دِيَارِ مُرَاد ، إِلَيْهَا يُنْسَبُ كَهْفُ خَبَّانَ ، وَهُوَ الكَهْفُ الَّذي مَاتَ فيه مُرَقِّشٌ الْأَكْبَرُ .

(١٥) خُنَانُ : عَرَّفَ نَصْرٌ الْمَوْضِعَ بقوله : بِضَمِّ الْخَاءِ ونُونَيْن ــ : مَدِيْنَةٌ مِنْ بِلَادِ جُرْزَان ، فَتَحَهَا حَبِيْبُ بنُ مَسْلَمَةَ . فَالْحَازِمِيُّ لَمْ يَزِدْ عَلَى هذا . وزادَ ياقُوت بِمَا نَقَلَ عنِ الاصطخْرِيِّ : خُنَانُ قَلْعَةٌ تُعْرَفُ بِقَلْعَةِ التُّرَابِ ، لِأَنَّهَا عَلَى تَلٍّ عَظِيْمٍ . انتهى وأطال الكَلَامَ عَلَى جُرْزَانَ ، ومما قال: جُرْزَانُ ــ بالضم ثم السكون وزاي وألف ونون ــ : اسْمٌ جامِعٌ لِنَاحِيَةٍ بِأَرْمِينِيَّة قَصَبَتُهَا تَفْلِيسُ ، وهُمُ الكُرْجُ ــ فِيْمَا أَحْسَبُ ، فَعُرِّبَ فقِيلَ جُرْز . . وقَدْ ذكرَ فَتْحَ الْمُسْلِمِيْنَ لِهذهِ الناحِيَةِ في تَفْلِيس ، فقال : افْتَتَحَها الْمُسْلمونَ في أيام عثمان ، كان قد سار حَبِيبُ بنُ مَسْلَمَة إلى أرمينيَّة فافْتَتَحَ أكثرَ مُدُنِهَا ، فَلَمَّا تَوَسَّطَهَا جَاءَهُ رسول بطريقِ جُرْزَانَ يَسْأَلُهُ الصُّلْحَ ، وأماناً يكْتُبُه لَهُمْ ــ ثم أورد نَصَّ كِتَابِ الْأَمَانِ ، وأَوْرَدَهُ ابن جَرِيرٍ في «تاريخ الأمم والملوك» وذكر خَبَرَ فَتْحِ حَبِيْبٍ لهذه البلاد ــ في سنة ٢٢ .

(١٦) وزَادَ نَصْرٌ في الْبَابِ أَرْبَعَةَ أَسْمَاءَ ، أَفْرَدَهَا الْحَازِمِيُّ في بابٍ في حَرْفِ الْخَاءِ وسَيَأْتِي ــ وهي :

١ ــ جُبَار: قال: ــ بضم الجيْم وباءٍ مُوَحَّدَةٍ وآخِرُهُ رَاءٌ ــ: مَاءٌ بَيْنَ الْمَدِيْنَةِ وفَيْدَ ، لِبَنِي جُرَشٍ بن عامرٍ مِنْ جُهَيْنَةَ ، وهُمُ الحُرَقَةُ . انتهى . وقال الحازميُّ : أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مُخَفَّفَةٌ ــ : مَاءٌ لِبَنِي خُمَيْسِ بْنِ عامِرٍ ، بَطْن مِنْ جُهَيْنَةَ بَيْنَ الْمَدِيْنَةِ وفَيْدَ . انتهى فَاسْمُ البَطْنِ عِنْدَ نَصْرٍ (جُرَش) وعِنْدَ الْحَازِميِّ (خُمَيْس) وَوَرَدَ في كتاب «الإيناس» ــ ٢٨ ــ لما ذكر خُمَيْس ــ بالْحَاءِ في طَابِخَة وفي كِنْدَةَ وفي كِنَانَة ــ قال: وفي قُضَاعَة : جُمَيس ــ بالجيم بن مُودَعَة بن جُهَيْنَةَ وهُوَ الْحُرَقَةُ ، عن ابنِ الْأَعْرابي . وهذا الْمَاءُ أَصْبَحَ قَرْيَةً ، وهي في مَنْطَقَةِ خَيْبَرَ ، بَعِيْدٌ عن فَيْدَ ، وقَدْ تحدَّثْتُ عنه بتَفْصيلٍ في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» .

٢ ــ جِيَارُ : قال نَصْرٌ : وأَمَّا بِكَسْرِ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وياءٍ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ــ: صُقْعٌ مِنْ بَرِّيَّةِ قِنَّسْرِيْنَ ، كَانَ الوليدُ بنُ عَبدِ الْمَلِكِ أَقْطَعَهُ الْقَعْقَاعَ بْنَ خُلَيْدٍ ، يُقال لَهُ جِيارُ بني القَعْقَاع . انتهى . وَزَادَ ياقُوت: كَأَنَّهُ جَمْعُ جَيْرٍ ، وهُوَ شِبْهُ الخَظِيْرَةِ أو الحِمَى . . . بَيْنَهُ وبَيْنَ حَلَبَ يَوْمَانِ ، قَالَ الْمُتَنَبِّي في مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

وكُنْتَ السَّيْفَ ، قَائِمُهُ إِلَيْهِمْ ... وَفِي الْأَعْدَاءِ حَدُّكَ وَالْغِرَارُ
فَأَمْسَتْ بِالْبَدِيَّةِ شَفْرَتَاهُ ... وَأَمْسَى خَلْفَ قَائِمِهِ الجِيَارُ

٣ ــ جَيَّارُ: ــ قال نَصْرٌ: وبفتح الْجيْمِ وَيَاءٍ مُشَدَّدَةٍ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ــ: ناحِيَةٌ بِالْبَحْرَيْنِ ، وثَمَّ كَانَ مَقْتَلُ الْحُطَمِ الْقَيْسيّ ــ قَيْسِ بن ثَعْلَبَة ــ لَمَّا ارْتَدَّتْ بَكْرُ بنُ وائِل . زَادَ ياقُوتُ: جَيَّارُ: وهي في اللُّغَةِ الجصُّ

الأسلاع في بلاد العرب
وابن البيلماني الشاعر النجراني المغمور

[دارت أحاديث بين رئيس تحرير هذه المجلة وبين الأستاذ الكبير حسن سعيد الكرمي صاحب برنامج (قول على قول) ومؤلف كتاب بهذا الاسم يعتبر ذخيرة من ذخائر الشعر العربي ، فقد كتب الأستاذ الكرمي كلمة بعنوان (أين هو موضع سلع ؟) .

فعقب عليها رئيس تحرير هذه المجلة بكلمة بعنوان (إنها أسلاع . . لا سَلْعًا واحدًا) ، فأعاد الأستاذ الكرمي التساؤل مرة أخرى قائلا : (أين هو موضع سلع ؟) .

فكان أن كتب رئيس تحرير هذه المجلة بحثًا ضافيًا تعرض فيه للتنبيه على خطإٍ في نسبة شاعر من بلاد

والصاروج ، وهى أيضاً حَرٌّ في الصدر ، والْحُطَمُ اسمُهُ شُرَيْحُ بنُ ضُبَيْعَةَ بن شُرَحْبِيْلَ ــ وساقَ نَسَبَهُ إلَى ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ــ قُتِلَ لَمَّا ارتَدَّتْ بَكْرُ بْنُ وائِلٍ في أيَّامِ أبي بَكْرٍ ــ رضي الله عنه ــ وفي (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» إشارة إلى الموضع الذي قُتِلَ فِيهِ الحُطَمُ ، وأنَّ في بعضِ الرِّوَايات أنَّهُ قُتِلَ أثْنَاءَ وقْعَةِ جُوَاثَا ، مِمَّا يَحْمِلُ على القَوْلِ بِقُرْبِ جَيَّارٍ مِنْ جُوَاثَا المَعْرُوفَةِ الآن .

٤ ــ الْخَبَار : ــ قال نَصْرٌ : ــ بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ وبَاءٍ مُخَفَّفَةٍ مُوَحَّدَةٍ ــ : فَيْفَاءُ الْخَبَارِ مَوْضِعٌ قَرِيْبٌ مِنَ الْمَدِيْنَةِ ، كَانَ عَلَيْهِ طَرِيْقُ رَسُول الله ﷺ حِيْنَ خَرَجَ يُرِيْدُ قُرَيْشاً قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ ، ثُمَّ انتهى مِنْهُ إلَى الخَلائِقِ ، ثمَّ إلَى يَلْيَلَ . انتهى . ونَصُّ الخَبَرِ عَلَى مافي كتاب «السِّيرة النَّبويَّة» لابْنِ هشام ــ ج ١ ص ٥٩٨ ــ في خَبَرِ غَزْوَةِ العُشَيْرَةِ ــ : فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ بَنِي دِيْنَارٍ ، ثُمَّ عَلَى فَيْفَاءِ الْخَبَارِ . . . ثُمَّ ارْتَحَلَ فَتَرَكَ الْخَلائِقَ بِيَسَارٍ ، وسَلَكَ شُعْبَةً يُقَالُ لها شُعْبَة عَبْدِالله ، ثُمَّ صَبَّ لِلْيَسَارِ حَتَّى هَبَطَ يَلْيَلَ . وفي كتاب الحازميِّ في حَرْفِ الخاءِ ــ (بابُ خَبَارٍ ، وخَيَّارٍ ، وجُبَارٍ وجَيَّارٍ : أمَّا الأولُ ــ بفتحِ الْخَاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ــ : فَيْفُ الْخَبَارِ ، مَوْضِعٌ قَرِيْبٌ مِنَ الْمَدِيْنَةِ وقال ابْنُ شِهَاب : وكَانَ قَدِمَ على رسول الله ﷺ نَفَرٌ مِنْ عُرَيْنَةَ كَانُوا مَجْهُوْدِيْنَ مَضْرُوْرِيْنَ ، فَأَنْزَلَهُمْ عِنْدَهُ ، وسَأَلُوهُ أنْ يُنَحِّيَهُمْ عَنِ الْمَدِيْنَةِ ، فأخْرَجَهُمْ رسول الله ﷺ إلَى لِقَاحٍ لَهُ بِفَيْفِ الْخَبَارِ وَرَاءَ الْحِمَى . وقال ابْنُ إسْحَاقَ : وفي جُمَادَى الأُوْلَى غَزَا رسول الله ﷺ قُرَيْشاً ، فَسَلَكَ عَلَى نَقْبِ بَنِي دِيْنَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّار ، ثمَّ على فَيْفَاءِ الْخَيَّار ، كَذَا وَجَدْتُهُ مَضْبُوطاً مُقَيَّداً بِخَطِّ أبِي الْحَسَنِ بْنِ الْفُرَاتِ بِالْخَاءِ الْمُهْمَلَة وبِالْيَاءِ الْمُشَدَّدَةِ ، والْمَشْهُورُ الأوَّلُ . انتهى وفي «مُعْجم البلدان» : الْخَبَارُ ــ في كلامِهِمْ الأَرْضُ الرِّخْوَةُ ذَاتُ الحِجَارَةِ ، وهو فَيْفُ الْخَبَارِ ، ويقال فَيْفَاءُ الْخَبَارِ ، ذَكَرَهُ ابْنُ الفَقِيهِ في نَوَاحِي العَقِيْقِ بِالْمَدِيْنَة ــ ثم ساق كلام الحازمي ولم يَزِدْ ــ ويفهم مما أورده السمهودي في «وفاء الوفاء» ــ ٨٧٩ ــ أنَّ فيفاء الْخَبَارِ تَقَعُ غَرْبِيَّ الجَمَّاوَاتِ الجِبَالِ المعروفة بقرب عَقِيق المدينة ، حَيْثُ امتَدَّ العُمْرَانُ إلى تلك الجِبَالِ ، وأنها مُتَّصلة بِجَمَّاءِ أُمِّ خالدٍ في أصْلِها ، وجَمَّاءُ أُمِّ خالدٍ في مَهَبِّ الشمالِ من جَمَّاءِ تُضَارِعِ الَّتِي تَسِيْلُ على بِئْرِ عُرْوَةَ المَعْرُوفَة .

نجران وقع في كثير من الكتب التي تعرضت لذكره منذ أن اختار أبو تمام في « حماسته » مقطوعة من شعره ورد فيها اسم (سَلْع) ، ويجد القارىء تفصيلا عن هذا الشاعر (ابن البيلماني لا ابن السلماني) في التعقيب على الاستيضاح الثاني عن موضع سلع . بعنوان (سلع مرة أخرى) .

ثم أعاد أستاذنا الكرمي معلقا على ذلك الرد بعنوان (عود إلى سلع) ، ولم أر في كلمة أستاذنا الكريم مايدعو إلى الاسترسال في الحديث في موضوع أُشْبِعَ بحثاً ، وها هو بين يدي القارىء الكريم] .

أين هو موضع سلع ؟

سيدي الفاضل رئيس تحرير جريدة « الشرق الأوسط » المحترم . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد أطلعت في عدد جريدتكم الصادر بتاريخ ١٩٨٧/١/٢١ على قطعة في الصفحة ١٣ بعنوان : شكراً لأستاذنا الجاسر ، جاء فيها ذكر البيت :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه ما يطل

وجاء في القطعة (لقتيل) وهو خطأ ، وجاء في القطعة عني أنني قلته في (قول على قول) ان سلعا هي التي يقال لها الآن (البتراء) في الأردن أو وادي موسى . وقرأت أيضا لأستاذنا حمد الجاسر ان سلعا موضع في أرض هذيل . يجوز ان يكون موضع بهذا الاسم في أرض هذيل ، وقد تتعدد المواضع لاسم واحد . وسلع أيضا . . موضع ذكره ابن السليماني .

لعمري ان يوم سلع لطائم لنفسي ولكن ما يرد التلوم

ولكن المهم في كل ذلك أن المعاجم لم تتفق على معنى واحد لكلمة (سلع) وفي « لسان العرب » : سلع موضع يقرب المدينة وقيل جبل بالمدينة . وفي « تاج العروس » : سلع جبل **وفي «العباب»** جبل بالمدينة . وفي رأيي ان أصح الأقوال هو قول « لسان العرب » . موضع قرب المدينة ، والقرب والبعد عند العرب شيء لا يحد ، فقد يكون الشيء قريباً وهو على عدة أميال وقد يقال أن الطائف بالقرب من مكة أو أن درعاً في سورية قريبة من دمشق وهكذا . . وقد تكون سلع

من المدينة ــ على عشرات الأميال كأن تكون قرب العقبة أو إلى الشمال من العقبة ، وهناك سلع في وادي موسى ، والسلع هو الشق في الأرض أو في الجبل ، وهنا هو الشق في الصخر أو الجبل وكان هذا موضع سلع .

أما القول بأنه موضع في أرض هذيل ففيه نظر لأن قبيلة هذيل كانت تسكن الصحراء وكان عروة الصعاليك يغير على منازلهم . وبيت الشعر يقول : ان بالشعب الذي دون سلع ، والشعب على مانعلم لايكون في الرمال أو الصحراء الرملية بل يكون في الجبل وكانت مدينة سلع بين البحر الميت وخليج العقبة مبنية بالحجر حول شعب يمتد إلى الجنوب وكان يجري فيه نهير ولعله الذي يقال له السيق .

ووصف سلع بالتفصيل مذكور في معجم Smith واسمه Classical dictionary .

لندن :حسن سعيد الكرمي

إلى الأستاذ الكرمي :

انها (اسلاع) لا (سلعا واحدا)

حسن حقاً أن تُعنى الصحافة العربية بالأبحاث المتعلقة بتاريخ العرب القديم من حيث تحديد المواقع أو دراسة أخبار الحوادث وما يتصل بها .

وأحسن من هذا أن يتناول ذالك الأمر المعنيون بالدراسات العربية القديمة المتمكنون منه ، وهذا ما أعجبني فيما نشرته جريدة «الشرق الأوسط» (ع ٣٠٦٣ تاريخ ١٤٠٧/٨/٢٠هـ ــ ١٩٨٧/٤/١٨م ص ١٨) من تعليق للأستاذ الكريم حسن سعيد الكرمي من لندن الذي كان ولايزال يتحف المستمعين لاذاعة لندن بما يفيضه من علم غزير في برنامجه الطلي الطريف (قول على قول) .

لقد علق الأستاذ الكرمي على مانشرته هذه الجريدة بتاريخ (١٩٨٧/١/٢١ لأستاذنا محمد حسين زيدان حول اسم (سلع) الوارد في البيت :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه مايطل

ونسب إليَّ الأستاذ محمد بأنني ذكرت أن سلعا المذكور في البيت يقع في أرض هذيل خلاف مانقل عن الأستاذ الكرمي من أن البتراء في الأردن هي سلع المذكور في البيت .

وأضاف الأستاذ الكرمي بأن المعاجم لم تتفق على معنى واحد لكلمة سلع ، ويرى أن أصح الأقوال هو قول «لسان العرب» : موضع قرب المدينة . والقرب والبعد عند العرب شيء لايحد . ثم أشار إلى سلع الواقع في وادي موسى ولم يغب عن ذهن الأستاذ المعنى اللغوي لكلمة السلع وانه الشق في الصخر أو الجبل .

ثم أضاف : أما القول بأنه موضع في أرض هذيل ففيه نظر ، لأن قبيلة هذيل كانت تسكن الصحراء وكان عروة الصعاليك يغير على منازلهم . ثم استنتج من البيت أن الشعب على مايعلم لايكون في الرمال أو الصحراء الرملية ، بل يكون في الجبل ، وأعاد ذكر مدينة سلع المبنية بالحجر حول شعب يجري فيه نهير يقال له : السيق ــ إلى آخر ماذكر من الوعد بالرجوع إلى المعجم الافرنجي الذي سماه .

لقد كانت مناسبة طيبة دفعتني لمحادثة الأستاذ الكريم حسن الكرمي لأوضح ماأراه من أن سلعا المذكور في الشعر يقع في بلاد هذيل .

ولكي أزيل من أذهان بعض القراء مايكون قد علق فيها من كون بلاد هذيل صحراء رملية كما يفهم من كلام الأستاذ الكرمي ، ألفت النظر إلى أن منازل هذيل كانت منتشرة في الأودية والشعاب والجبال الواقعة بقرب مكة ، وأكثر منازلها تقع في ضفاف الجبال ، وليست في صحراء رملية واسعة ، ووجود الرمال أو الأراضي المنبسطة بالنسبة لبلاد هذيل أقل منها في غيرها من البلاد ، ولايتسع المقال لتوضيح منازل هذه القبيلة قديماً وحديثاً ، إلا أن مما ينبغي ادراكه أن كثيراً من فروعها لايزال يحل في مواطنه القديمة ــ انظر مجلة «العرب» س ١٨ ص ١٠٩٠ وس ٢٠ ص ٥٥٥ ــ .

ومن جبال هذيل القديمة جبل سلع الوارد في شعر البريق بن عياض الخناعي الهذلي يرثي أخاه ــ كتاب «شرح أشعار الهذليين» ص ٧٤٢ ــ ومنه :

سقى الرحمن حزم نبائعات من الجوزاء انواء غزارا
يحط العصم من أكناف شعر ولم يترك بذي سلع حمارا

سلع : جبل كما ذكر شارح الشعر ، ومعروف أن كلمة (ذي) تلحق بأسماء المواضع كثيراً .

ومن شعر الحارث بن خالد القرشي :

عاهد الله أن نَجَا مِ المنايا ليعودن بعدها حرميا
يسكن الخل والصفاح ومرا ن وسلعا ، وتارة نجديا

فالخل والصفاح من المواضع القريبة من مكة وكذا سلع ، وهو جبل لايزال معروفاً إذا كنت في الصفاح شاهدته وهو على مقربة من وادي عرنة ، ومعروف أن هذه المواضع القريبة من مكة كانت من منازل هذيل .

ويحسن العود إلى البيت المستشهد به في أول الكلام ، من المعروف أنه من قصيدة أوردها أبو تمام في «الحماسة» وأشار إلى الاختلاف في نسبتها قائلاً : انها في رثاء تأبط شرا له أو لابن أخته أو منحولةٌ .

إذن هي تتعلق برثاء تأبط شرا ، فأين قتل ؟

لقد فصل خبر مقتله صاحب كتاب «شرح أشعار الهذليين» ــ ص ٨٤٣ ــ فذكر أنه قتل في يوم نمار قتلته بنو قريم من هذيل لأنه خرج يريد الاغارة على بني صاهلة من هذيل ، ولكنه تجاوزهم حتى وجد أهل بيت شاذ من بني قريم في ذنب نمار (الوادي) فرموه بسهم فقتلوه ، ومما قالت أمه في رثائه :

قتيل ماقتيل بني قريم إذا ضنت جمادى بالقطار
فتى (فهم) جميعا غادروه مقيما بالحريضة من نمار

وعلى هذا فتأبط شرا قتل في وادي نمار الذي لايزال معروفا ، وهو من روافد وادي يلملم حيث يحرم الحجاج القادمون من الجنوب إذا أرادوا مكة ، والذي يقع جنوب مكة بنحو مئة كيل على وجه التقريب ، والوادي لايزال معروفاً ، أما سلع فينبغي أن يكون في هذا الوادي أو بقربه حيث قتل المرثي الذي قيل فيه :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيلا دمه مايطل

ومن المدرك بداهة أن كلمة (سلع) كانت في الأصل وصفا ، ثم سميت بها مواضع ، وهي كما أشار الأستاذ الكرمي : الشق في الجبل . وحدد المعنى أبو زياد الكلابي على مانقل عنه ياقوت في «معجم البلدان» فقال : الاسلاع طرق في الجبال يسمى الواحد منها سلعا ، وهو أن يصعد الإنسان في الشعب وهو بين الجبلين يبلغ أعلى الوادي ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر يفصل بينهما هذا السند الذي سند فيه ، ثم ينحدر حينئذ في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدراً في فضاء الأرض ، فذاك الرأس الذي أشرف من الواديين السلع ولا يعلوه إلا راجل . انتهى .

وعلى هذا فلا غرابة بأن يسمى كثير من الجبال والأمكنة باسم سلع فهناك :

١ ــ سلع جبل في ديار بني هذيل كما تقدم .

٢ ــ وسلع جبل في المدينة وهو الذي قال عنه الأزهري : موضع بقرب المدينة . لأنه لم يعرف الجبل نفسه وإنما عرفه مما قرأ ، وهو جبيل صغير كان في داخل المدينة في عهد رسول الله ﷺ على مانقل السمهودي عن «صحيح البخاري»: ان جارية لكعب بن مالك كانت ترعى غنماً لهم بالجبيل الذي في السوق وهو سلع . وتحدث عنه السمهودي حين تكلم على مساجد الفتح وعلى كهف بني حرام الذي دخله النبي ﷺ وبات فيه ــ انظر «وفاء الوفاء» ص ٨٣٦ الطبعة الثانية ــ وهو معروف عند أهل المدينة ، وهو الذي ذكره ابن البيلماني لا (ابن السلماني) كما جاء في «معجم البلدان» مصحفاً وكذا في تعليق الأستاذ الكرمي ، وابن البيلماني هذا شاعر يمني من الأبناء (الفرس) ذكره الهمداني في

«صفة جزيرة العرب» ص ٧٩ و٩٩ طبعة دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ــ وكان قد حبس في المدينة فقال شعراً منه البيت الذي أورده الأستاذ الكرمي من مقطوعة أوردها ياقوت .

٣ ــ وسلع واد في ديار باهلة ، وجبل ، وهما سلعان مضافان احدهما سلع موشوم والثاني سلع الكلدية ، وبلاد باهلة واقعة في وسط نجد في اقليم يعرف الآن باسم العرض (عرض القويعية) وقديماً باسم عرض شمام وسود باهلة ، وقاعدته الآن بلدة القويعية .

٤ ــ وسلع أيضاً موضع في ديار بني أسد ، وديار هاؤلاء تقع في شمال القصيم وتمتد على طريق الحج العراقي إلى قرب الكوفة .

٥ ــ وسلع أيضاً في وادي موسى .

والأستاذ الكرمي أعرف بهذا الموضع الأخير مني .

ولقد لاحظت حين زرت الموضع الأخير كثرة أسماء المواضع التي بقربه ، وهي تطلق على مواضع في غرب الجزيرة فاستنتجت أن السكان ربما نقلوا أسماء مواضع كانوا يألفونها من غرب الجزيرة إلى شمالها وقلت في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ــ ص ٤٦٨ ــ: ومن الأدلة على صلة الأنباط بشمال الحجاز أن كثيراً من أسماء بلادهم لايزال لها ارتباط بالحجاز ، فمثلاً :

١ ــ السيق : وهو الطريق المعروف الآن إلى البتراء الوادي المحصور بين الجبال لانزال نرى اسما له مقارباً في النطق يطلق على واد يفيض في وادي خيبر في بلاد شهران ، في الجنوب الشرقي من السراة ، ولكنهم هناك ينطقونه بالشين (الشيق) ومن أودية حسمى وادي السيق ، ينحدر من جبل اللوز ، فيفيض في وادي عفال الذي يفيض في البحر شرق الخريبة وعينونة (بقرب خطي الطول: ٣٥/٢٥° و٣٥/٤٠° وخطي العرض: ٢٨/٠١° و٢٨/٠٢° تقريباً) .

٢ ــ وعيرة : وهو جبل فيه قصر الآن من عهد الصليبيين قرب وادي موسى

بقرب البتراء ، وبقرب المدينة جبل عظيم يقع شرق أحد يعرف بهذا الاسم حتى الآن (وَعِيرة) ــ بفتح الواو وكسر العين ــ ومن أشهر قمم جبال حسمى قمة وعير ــ بضم الواو وفتح العين ــ يشاهدها المتجه من تبوك إلى حقل رأي العين .

٣ ــ الجي : قرية تقوم منازلها في احدى الضواحي المجاورة لمدينة البتراء وتتزود من مياه النبع الغزيرة ، ولكنها لاتصل بجريانها إلى البتراء . وهذه القرية تعرف الآن باسم وادي موسى ، وبقرب المدينة في شرقها وادي الجي الذي تنحدر فروعه من جبل قدس الأبيض وورقان ، وما حولها ، ويسير متجهاً صوب الشرق حتى يصب في وادي الصفراء ، الذي يصب في البحر غرب المدينة .

٤ ــ سلع : يطلق هذا الاسم على وادي البتراء الذي تقع فيه آثارها الضخمة ، وهو في الوقت نفسه يطلق على جبل يقع في الشمال الغربي من المدينة ، وأصبح الآن داخل مبانيها .

هذه إشارات واضحة تدل على عمق الصلة بين الأنباط وبين عرب الحجاز ويبقى أن نشير إلى ماأثر عن مؤرخي العرب المتقدمين من صلة الأنباط بعرب الحجاز .

وفي انتظار ماسيتحف به الأستاذ الكرمي قراء هذه الصحيفة (فيغرب) بعد أن (أعرب) فأفاد .

مع أطيب تحية .

حمد الجاسر

أين هو موضع سلع ؟

ثم مارأي أستاذنا حمد الجاسر في ما جاء **«مجمع الأمثال»** للميداني عن سلع فقد جاء هناك تحت المثل : ألحن من قينتي يزيد ، ان حبابة غنت يزيد بن عبدالله بن مروان بهذه الأبيات :

لعمرك انني لأحب سلعا لرؤيتها ومن أضحى بسلع
تقر بقربها عيني وإني لأخشى أن تكون تريد فجعي
حلفت برب مكة والمصلى وأيدي السابحات غداة جمع
لأنت على التنائي فاعلميه أحب إلي من بصري وسمعي

فقال لها يزيد : ان شئت ان أنقل اليك سلعاً حَجَراً حَجَراً أمرت . فقول يزيد هذا يدل على ان سلعاً قرية مبنية بالحجر أو موضعاً من أحجار ، وكونها قرية يدل عليه قول الشاعر : تقر بقربها عيني فجعلها مؤنثة ، ولم يقل بقربه . ثم ان سلع في اللغات السامية كالعبرانية معناها حجر أو صخر ، ومنه جاءت كلمة البتراء أو Petre .

أما بيت ابن السليماني وهو شاعر اسلامي وهو كما ذكرنا :

لعمري اني يوم سلع لسالم لنفسي ولكن ما يرد التلوم

فقد جاء في شرح التبريزي لحماسة أبي تمام ان السلع هو الشق في الجبل وحكاية ابن السليماني هذا هي ان ابراهيم بن عربي كان واليا على اليمامة ، واليمامة إلى الغرب من البصرة والكوفة نحو الجنوب ، فقبض على ابن السليماني وحمله إلى المدينة فمر في طريقه بسلع وقال أبياتا منها هذا البيت ، فأين سلع هذه التي في الطريق بين اليمامة والمدينة ؟ لعل الطريق من اليمامة إلى المدينة كانت تمر في أراض عامرة غير صحراوية ، من الشرق عبر جنوب سورية إلى جنوب الأردن وإلى سلع هناك ثم سلع جنوباً إلى المدينة ، وكان ذلك تجنبا للمرور في الصحراء وهذا شبيه بالمسافر بين دمشق وبغداد ، فقد كان يذهب إلى حلب ثم إلى الموصل ثم ينحدر من الموصل إلى بغداد ، ويتجنب بذلك قطع بادية الشام .

ورأيت في ابن خلكان عن العباس بن عبدالمطلب أنه كان يقف على سلع وهو جبل عند المدينة فينادي غلمانه وهم بالغابة فيسمعهم ، وبين الغابة وسلع ثمانية أميال ، ولمهيار الديلمي أبيات يقول في أولها :

أرقت فهل لهاجعة بسلع على الأُرقين ، أفئدة ترق

وأين مهيار الديلمي في العراق من سلع ؟ وللخطيب الحصكفي أبيات في هجو مغن يقول فيها :

ويـوم سـلع لم يـكـن يـومـي بـسـلع هـيـنـا

وقد نخلص من كل ذالك أن نقول أن سلعا لابد ان يكون موضعاً أو جبلاً قرب المدينة أو قرية فيها مفازة طيبة الهواء في أرض غير صحراوية ، وهذه هي سلع الأردن في وادي موسى ، حتى ان ابن الفارض قال :

وباينت بانات كذا عن طويلع بسلع فسل عن حلة فيه حلت

وقـال :

واذا وصلت أثيـل سلع فالنقـا بـالـرقـمتـين فـلعلع **فشـظاة**

لندن من/ حسن سعيد الكرمي

(سلع) مرة أخـرى

وأعاد الأستاذ الكريم حسن سعيد الكرمي الحديثَ عن (سَلْعٍ) ــ [«الشرق الأوسط» ع ٣٠٦٤ في ١٤٠٧/٨/٢١ (١٩٨٧/٤/١٩)] ــ متسائلاً : أين موضعه ؟ ومورداً نصوصاً استقاها من مصادر مختلفة ، ليس من المستغرب على سعة اطلاع الأستاذ الكرمي وغزارة علمه إحاطته بها .

وقد رأيته ــ أكرمه الله ــ خصني بتوجيه السؤال إليَّ عن بعض ماجاء في تلك النصوص ، ورأيت في إجابته مالم أجد خيراً منه للتعبير عن تقديري للأستاذ ، وإعجابي بما يتصف به من علم وفضل وأدب .

المثل : (أَلْحَنُ من قينتي يزيد) يراد به كما هو معروف لحن الغناء ، أي جودته ، والقينتان هما : حَبَابَةُ ــ بتخفيف الباء ــ وسَلَّامة ــ بتشديد اللام ــ وصاحبهما هو يزيد بن عبدالملك بن مروان ــ لا ابن عبدالله ــ .

ابن البيلماني ـ لا ابن السليماني :

وبلية التطبيع في عهدنا هي كبلية التصحيف في العهود الماضية التي من أَسْوَإِهَا تصحيف كلمة (البيلماني) بكلمة (السليماني) وهو تصحيف وقع في كثير من الكتب العربية قديمها وحديثها ، ولهذا فليس من المستغرب أن يتكرر فيما دار حول الحديث عن سلْع ، لا في كلام أستاذنا الكرمي وحده ، بل منذ جمع أبو تَمَّام أشعار «الحماسة» ، فأورد فيها مقطوعة لابن البيلماني ، وأتى مَنْ تناول ذالك الكتاب بالشرح أو التعليق عليه فأورد الاسم مصحفاً .

أليس من المناسب محاولة تصحيح اسم هذا الشاعر الذي لو لم يكن من فوائد البحث عن تحقيق موقع سَلْعٍ سوى إنارة بعض جوانب من حياته .

ولعل من حسن الاتفاق ــ ولا أقول من غريبه ــ أن يأتي الحديث عن تصحيح اسم هذا الشاعر ذَا صِلَةٍ قوية بعالمين جليلين من بلادنا المقدسة من مدينة القدس الشريف وما بقربها ، هذا العالمان هما الحافظ عبدالغني المَقْدِسي الذي توفى سنة ٦٠٠ ، والذي ترجم الشاعر في كتابه «الكمال في أسماء الرجال» ترجمة كانت مَصْدَرَ من جاء بعده .

ثم أتى أستاذنا الكرمي فأثار ماله صلة بهذا الشاعر إثارة كانت الباعث للحديث عنه .

إن ابن البَيْلماني منسوب إلى بيلمان ، وهي كما ورد في كتاب «القاموس المحيط» وشرحه ــ رسم (بلم) ــ : وبَيْلَمان موضع باليمن أو بالسند أو بالهند ، منه السيوف البيلمانية ، وعبدالرحمن بن أبي يزيد البيلماني مولى عمر بن الخطاب تابعي ، روى عن ابن عباس ، و. . . وروى عنه . . . وذكره ابن حبان في «الثقات» وكان من فحول الشعراء . وقال في «معجم البلدان» : بيلمان بالفتح تنسب إليه السيوف البيلمانية ، ويشبه أن يكون من أرض اليمن ، ينسب إليه محمد بن عبدالرحمن البيلماني ، حدث عنه عبدالله بن العباس بن الربيع النجراني ، نجران اليمن ، وفي «فتوح البلدان» للبلاذري : البيلمان من بلاد الهند

والسند ، تنسب إليها السيوف البيلمانية . انتهى . ومحمد الذي ذكر ياقوت هو ابن الشاعر عبدالرحمن .

وفي «صفة جزيرة العرب» للهمداني في الكلام على نجران ــ ص ٩٩ طبعة دار اليمامة ــ : وكان من شعرائها ابن البيلماني ، من الأبناء .

وأورد في الكلام على أوس بن عَمْرُوٍ قاتل الجوع ــ ص ١٠٠ ــ مانصه : وفيه يقول الشاعر ــ وهو ابن البيلماني ــ :

ألا إنَّ أوساً قاتلَ الجُوع قد مضى ... وورث عــزاً لاتُنـال أُطـاوِلُـهْ

وجاء في كتاب «تهذيب الكمال» للحافظ المزي ــ ٢/٧٧٨ النسخة المصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية ــ : عبدالرحمن بن أبي زيد البيلماني ، من الأبناء الذين كانوا باليمن ، وكان ينزل نجران ، وقيل : إنه من أشعر شعراء اليمن في عصره ، وأنه وفد على الوليد بن عبدالملك فأجزل له الحباء ، وتوفي في ولايته ؛ وذكر صاحب «تهذيب الكمال» : أن أصحاب السنن الأربعة رووا له ، وسمى من حدث عنه من رواة الحديث .

ومصدر صاحب كتاب «تهذيب الكمال» هو كتاب «الكمال» للحافظ عبدالغني المقدسي ، ثم جاء الحافظ ابن حجر فترجم الشاعر في كتاب «تهذيب التهذيب» ــ ١٤٩/٦ ـ بترجمة لاتخرج عن تلك الترجمة .

أما شعره فقد أورد أبو تمام في «الحماسة» له قطعة ميمية هي التي ورد فيها قوله :

لعمـريَ إني يـوم سَلْعٍ لـلائم ... لـنفسي ولـكن مـايَـرُدُّ الـتلوُّمُ

وأوردها ياقوت في «معجم البلدان» في رسم سلع ، كما أورد بيتين منها في رسم برثم لم يَرِدَا في «حماسة» أبي تمام .

وهما :

فلو شِئْتُ إذْ بِالْأَمْرِ يُسْرٌ لَقَلَّصَتْ ... بِـرَحْلِيَ فَتْـلاَءُ الـذِّرَاعَـيْنِ عَيْهَمُ

إذَا مَا انْتَحَتْ مَابَيْنَ لَحْجٍ وبُرْثُمٍ ... وأَيْنَ لِإِبْـرَاهِيمَ لَحْجٌ وبُـرْثُمُ ؟

وفي هذين البيتين يوضح الشاعر أنه كان في إمكانه الهرب إلى بلاده في أقصى اليمن ، ماراً بِلَحْجٍ وبرثم البعيدين عن إبراهيم بن عربي ، الذي كان والياً لليمامة في عهد بني مروان .

وابراهيم هذا كان مما وطَّدَ الحكم الأمويَّ في نجد بشدته وصرامته وترسمه لنهج الحجاج ، ولي عنه مؤلف بعنوان «ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد» التهمته حوادث بيروت عند البدء في طبعه ، كما التهمت تلك الحوادث أنفس منه ابني ومكتبتي .

وكان من آثار ابن عربي السيئة أنه بنى في مدينة حَجْرٍ قاعدة اليمامة سجن دَوَّارٍ، الذي طالما جأر شعراء ذالك العهد من شدة مايقاسيه المسجونون فيه من العذاب ، فقال أحدهم :

يـارَبَّ دَوَّار أَنْقِـذْ أهلَهُ عَجَـلاً وانْقُضْ مـرائِرَهُ من بعـد إبْرَام
رَبِّ ارْمِهِ بِخَرَابٍ ، وارْمِ بَانِيَهُ بِصَوْلةٍ مِنْ أَبِي شِبْلَيْنِ ضِرْغَامِ

ويقول :

سجْنٌ يـلاقي أَهله من خَوْفِـهِ أَزَلاً ، ويُمْنَـعُ مِنْهُـمْ الـزُّوَّارُ
يُغْشَوْنَ مُقْطَرَةً كَـأَنَّ عَمُـودَهَـا عُـنُقٌ يُـعَـرَّقُ لَحْمَهَـا الْجَـزَّارُ

ويظهر أن ابن عربي كان يحمل ضغينةً وحقداً على الشعراء منذ أن هجاه البَعِيث المجاشعي بقوله :

تَرَى مِنْبَرَ الْعَبْدِ اللَّئِيْمِ إذَا بَدَا ثَـلاَثَـةُ غِـرْبَـانٍ عَلَيْـهِ وقُـوعُ

وإذَنْ فلا يلام ابن البيلماني أَنْ يأسى لما حدث منه ، ويلوم نفسه حين مَرَّ بالمدينة ، فأمكن عَدُوَّهُ من نفسه ، ولم يسلك الفجاج العريضة ، وهو خبير بفروجها ومسالكها ، إنه يقصد بقوله :

لعمـريَ إنِّي يَـوْم سَلْعٍ لَـلاَئِمٌ لِـنَفْسي ولـكنْ مَـايَـرُدُّ الـتَّلَوُّمُ

لأنه كما ذكر ياقوت حمل إلى المدينة مأسوراً ، فلما مَرَّ بِسَلْعٍ قال ماقال :

ولا أرى أية صلة بين اليمامة وبين البصرة بالنسبة لطريق الشاعر ، فقد يكون حدث له ماحدث حين عاد من الشام ، إذْ هو ممن وفد على الوليد بن عبدالملك ، فأجزل له الحباء ، وطريق اليمن من الشام يمر بالمدينة أو بقربها .

أما الأَبْيَاتُ التي غنت بها حَبَابَةُ وهي :

لَعَمْرُكَ إِنَّني لأُحِبُّ سَلْعاً لِرُؤْيَتِهَا وَمَنْ أَضْحَى بِسَلْعِ

فإنها من شعر قيس بن ذَرِيح الكناني صاحب لُبْنَى ، الذي كثيراً ماخلط بعض الرواة بين أخباره وأخبار قيس بن الملوَّحِ صاحب ليلى (المجنون) لتشابه قصة الشاعرين ، وقيس بن ذريح هو رضيع الحسين ، لا قيس بن الملوح ، كما جاء في إحدى الروايات المؤلفة عن المجنون .

وحَبَابَةُ كانت من مولدات المدينة ، وعاشت فيها في شبابها ، وكانت تسمى العالية ، وسماها حبابة يزيد بن عبدالملك حين ملكها ، وقصته معها معروفة ، حتى يقال : بأنه مات جزعاً عليها حين ماتت .

أما القول بأنَّ سَلْعاً قرية مبنية بالحجر وكونها قرية يدل عليه قول الشاعر : (تقر بقربها عيني) فجعلها مؤنثة ولم يقل : (بقربه).

فندرك خطأ هذا حين نعلم أنَّ الضمير (بقربها) يعود على محبوبة الشاعر التي هي لُبْنَى والتي أحب الشاعر سَلْعاً لرؤيتها ، وأحبَّ من أَضْحى بسلع ، وقد كانت لُبْنَى وأهل الشاعر ممن يقيم في المدينة ، حيث جبل سلع الذي لايزال معروفاً .

وما أرى تَغَزُّلَ مِهْيَارٍ الدَّيْلَمِي وعمر بن الفارض بِسَلْع إلا من قبيل تقليد المتقدمين بالتغني بما يحنون إليه من معاهد الأحباب ومواطنهم ، فكثير من المواضع التي ترد في شعر هذين الشاعرين على درجة من التباعد تحمل على الجزم بأنهما يُورِدَانِ أسماء مواضع لايعرفان مواقعها وإنما هو من قبيل التقليد والمحاكاة .

حمد الجاسر

الشاعر العرجى من عرج الطائف

أكرمني العالم الجليل الشيخ علي الطنطاوي ــ أكرمه الله وأدام له الخير والتوفيق ــ فذكرني في حديث أذيع في البرنامج الممتع «مسائل ومشكلات» يوم الاثنين غرة شهر شعبان ١٤٠٧ حين تحدث عن الشاعر العرجى فأحال من يريد معرفة الموضع الذي نسب إليه هذا الشاعر إليَّ . ولم أكن سمعت حديث عالمنا الجليل ، ولكن الأستاذ الكريم أحمد بن محمد الصايغ تحدث في جريدة «البلاد» ع ٨٥٤١ تاريخ ١٨ شعبان ١٤٠٧ بعنوان «أسماء ومواضع» فأشار إلى ذالك وأضاف : وبمراجعة كتاب معجم قبائل المملكة نجد أن هناك ثلاثة مواضع باسم العرج ، أحدها ناحية الليث والثاني أسفل الطائف والثالث من الأودية التي حول المدينة .

بقي معرفة أيها موطن الشاعر العرجى ياترى ؟

وبعد أن أوجه للأستاذ أحمد أطيب تحية للفت نظري إلى أمر كنت أتمنى أنني علمته مباشرة من حديث الشيخ علي الطنطاوي إلا أن عدم مواظبتي على استماع كثير مما يذاع حال دون ذالك .

وأراها مناسبة طيبة أحيِّي فيها قراء هذه الصحيفة الكريمة بكتابة كلمة حول ذلك الموضع الذي نسب إليه الشاعر عبدالله العرجي .

لقد وقع الخلط لدى كثير من العلماء المتقدمين في تحديد المواضع التي تسمى باسم العرج ، ومن هنا نشأ الخطأ في نسبة الشاعر العرجي إلى واحد من تلك المسميّات ولعله أشهرها وهو العرج الوادي العظيم الواقع في الطريق بين المدينتين الكريمتين مكة والمدينة .

ولا أريد الإطالة بإيراد أمثلة لما وقع من العلماء المتقدمين في ذالك ، اكتفى بثلاثة نصوص لعلماء أجلة يعتبر قولهم حجة في تحديد المواقع وفي اللغة ، أولهم الإمام الجوهري صاحب «الصحاح» والثاني ياقوت الحموي صاحب كتاب

«معجم البلدان» والثالث العالم اللغوي الفيروز آبادي صاحب كتاب «القاموس» .

فقد جاء في الكتاب الأول مانصه : (والعرج منزل بطريق مكة وإليه ينسب العرجي وهو عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان) .

وجاء في الكتاب الثاني : وقال ابن الكلبي : لما رجع تُبَّع من قتال أهل المدينة يريد مكة رأى دوابَّ تعرج فسماها العرج ، وقيل لكُثيرٍ : لم سميت العرج عرجاً ؟ قال: يعرج به عن الطريق ، وهي قرية جامعة في واد من نواحي الطائف إليها ينسب العرجي الشاعر وهو عبدالله بن عمر بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وهي أول تهامة ، وبينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلاً ، وهي في بلاد هذيل ، ولذلك يقول أبو ذؤيب :

هم رجعوا بالعرْج والقوم شُهَّدٌ هوازنُ تحدوها حماةٌ بطارق

انتهى كلام ياقوت ، وفيه كما يرى القاريء خلط بين موضعين : القرية التي في واد من نواحي الطائف وهي التي ينسب إليها العرجي الشاعر ، ولكنها ليست أول تهامة ، والمسافة بينها وبين المدينة تبلغ مئات من الأميال لا كما ذكر ٧٨ فذاك العرج الذي في الطريق إلى المدينة .

وجاء في الكتاب الثالث مانصه : (والعرج بالفتح : بلد باليمن وواد بالحجاز ذو نخيل وموضع ببلاد هذيل ، ومنزل بطريق مكة ، منه عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان العرجي الشاعر) .

انتهى . ويظهر أن صاحب القاموس وقد أقام في الطائف زمناً وألف رسائل عن بعض قراه أدرك خطأهُ ، ولهذا لما ذكر العرج في كتابه «المغانم المطابة في معالم طابة» قال ــ ص ٢٥١ ــ ماملخصه : العرج اسم موضع بين الحرمين على ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة .

والعرج أيضاً باليمن قريب المَهْجَم .

والعرج أيضاً قرية جامعة في واد من أودية الطائف وإليه ينسب العرجي الشاعر

عبدالله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان وقد عرفت هذه القرية ومكانها في مسيري إلى جبل إبراهيم وهي على ثلاثة أميال من الطائف للراكب المجد . انتهى .

وقد أشرت إلى رجوع صاحب القاموس عن قوله الأول في كتاب «نظرات في كتاب تاج العروس» ص ١٣٨ .

قد يتساءل قاريء : وعلى أي أساس كانت نسبة الشاعر إلى الوادي الواقع في أسفل وادي الطائف والذي لايزال معروفاً ؟ ولهذا التساؤل محل .

لقد أوضح عالم الحجاز في عصره الزبير بن بكار فيما أورده عنه صاحب «الأغاني» (ج ١ ص ٣٨٥ طبع دار الكتب) إذ ساق بسنده إلى الزبير قال : حدثني عمي أنه انما لقب العرجي لأنه كان يسكن عرج الطائف وقيل بل سمى بذلك لماء كان له ومال عليه بالعرج وكان من شعراء قريش . ثم نقل أخباراً كثيرة كلها تؤيد نسبة الشاعر إلى ذالك الوادي وصلته باناس ممن كانوا ينزلون في نواحي الطائف كقصته مع العبلى الشاعر الذي كان نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفتُق على ثلاثة أميال من مكة على طريق من جاء من نجران أو تبالة إلى مكة والعرج أعلاها قليلاً مما يلي الطائف . وكلمة (ثلاثة أميال) صوابها : (ثلاث ليال) لأن الفتق على مقربة من موقع عكاظ كما حدده الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (ص ٢٥٨ و٣٤٠) وذكر أنه قرية خربت: وقال: إذا صليت بالفتق استقبلت المغرب فوقعت الطائف بينك وبين مكة .

وإذا تتبعنا المواضع التي ذكرها العرجي في شعره نجد كثيراً منها في نواحي الطائف وبعضها لايزال معروفاً ، ومن ذلك (الأزهر) فقد ورد في شعره :

يـادار عـاتكـة التي بـالأزهـر أو فـوقه بقفـا الكثيب الأعفـر
لم ألق أهلك بعد عام لقيتهم يـاليت أنَّ لقـاءهم لم يقـدر

وقد ذكر ياقوت هذا الموضع في «معجم البلدان» بما هذا نصه : الأزهر موضع على أميال من الطائف فيه قال العرجي . وأورد البيتين .

وقد تحدثت عن هذا الموضع في مجلة «العرب» س ١٤ ص ٤٦٣ بما خلاصته :

أنني كنت في مدينة الطائف وكانت رعاية الشباب في تلك الأيام تهيء أمكنة بقرب موقع سوق عكاظ ، استعداداً لاقامة مهرجان سنوي فيه ، فخرجت صباح يوم أنا والصديق الكريم الأستاذ محمد سعيد كمال ــ مؤرخ الطائف ــ ومررنا بالأخ الشريف محمد بن منصور ، وكان يسكن قرية الجال ، وهو من أعرف الناس بالمواضع بمنطقة الطائف .

ثم اتخذنا قصدنا من مدينة الطائف وخرجنا منها من ريع العيسي ــ بكسر العين والسين المهملتين ــ وبعد أن قطعت بنا السيارة تسعة أكيال من ذالك الريع في اتجاهنا إلى الشمال ، مع الطريق المعبد جزعنا وادياً صغيراً قال لنا الشريف منصور : هذا الوادي وما حوله يدعى الأزهر . يقال: «رب صدفة خير من ميعاد» لقد اهتدينا إلى موقع كنا بحاجة إلى معرفته بدون أن نبحث عنه .

وإذن فإن الأزهر الوارد في شعر العرجي لايزال معروفاً ويقع على مقربة من الطائف بحيث لاتزيد المسافة بينهما على بضعة أكيال ، في الجهة الجنوبية يجزعه الطريق المعبد وهذا يتفق مع قول ياقوت : (على أميال من الطائف) .

وشهرة عرج الطائف الواقع أَسْفَلَ وادي وجّ تغني عن الإطالة بتحديده .

حمد الجاسر

الزلفـي وقـراه

بعث الأخ أحمد بن حمود الباتل من قراء هذه المجلة من بلدة الزُّلْفِي بكلمة حول منطقة الزُّلْفِي ملخصها : الزُّلْفِي ــ بضم الزاي وإسكان اللام وكسر الفاء بعدها ياء ــ اسم يشمل منطقة واسعة في شمال هضبة اليمامة ، وفي الشمال من مدينة الرياض على مسافة تقرب من ثلاث مئة كيل ، والمنطقة تتكون من سهل منخفض خصب تقع فيه المدينة ، ويُحَدُّ غرباً بالنفود وشرقاً بجبل طُوَيْقٍ ، ويمتد من الجنوب إلى الشمال بمسافة تقارب مئة وخمسين كيلاً ، وفي هذه المنطقة الخصبة تكثر المزارع وحدائق النخيل .

ومن المنطقة قسم يقع على سطح جبل طُوَيْقٍ ، وتنتشر فيه البادية ، وفيه روضة

واسعة تدعى السَّبَلَة ــ بالسين والباء المفتوحتين بعدها لام فهاء ــ وعندما تجود الأمطارُ في هذه المنطقة تزدهر بالأعشاب والمراعي أما الجانب الجنوبي من منطقة الزُّلْفِي وهو النفود فإنه يمتدُّ غرباً إلى حدود ٱلقَصيم ، وتتخلل كثبان الرمال في هذا الجانب أراضٍ واسعةٍ منبسطة ، تنتشر فيها القرى الكثيرة التي يشتغل أهلها بالزراعة وغرس النخيل وزراعة الخضروات .

ويقارب عدد السكان في منطقة الزلفي سبعين ألف نسمة ، موزعين على عدد من القرى تبلغ أرْبَعاً وثمانين قرية .

وبلدة الزُّلْفِي وان كانت مجهولة التاريخ في القديم إلا أنَّ في بعض المؤلفات مايشعر بقدمها ، فقد أورد البكري في «معجم مااستعجم» في ذكر الزُّلَيْفَات : انه موضع في ديار بني تميم ، وأورد من شعر تَأَبَّطَ شَراً :

ولَابْنُ رباحٍ بِالـزُّلَيْفَاتِ دَارُهُ رَبَاحُ بنُ سَعْدٍ والمعاديُّ مَعْقِلُ

كما أورد ياقوت في «المعجم» اسم زلفة لموضع أورد عليه شاهدين من الشعر ليس من المستبعد أن يكون المقصود به مايعرف الآن باسم (الزُّلْفِي) .

ومن المواضع المعروفة الواقعة في منطقة الزُّلْفِي :

سَمْنَانُ اسم قرية لاتزال معروفة قال فيها زياد بن منقذ العَدَوِيُّ :

بَلْ لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَغْدُو تُعَارِضُنِي جَـرْدَاءُ سابِحَـةٌ أَوْ سَابِـحٌ قُدُمُ
نَحْوَ الأُمَيْلِحِ أو سَمْنَانَ مُبْتَكِراً بِـفِتْـيَـة فِيـهِمُ ٱلمَـرَّارُ والحَـكَمُ

وعُرَيْعِرَةُ وهو منهل في واد بهذا الاسم ذكره ياقوت وغيره وأورد شاهداً عليه من الشعر قول امرأة من بني مرة :

أَيَـا جَبَـلَيْ وادِي عُـرَيْعِـرَةَ الَّتِي نَأَتْ عَنْ ثَوَى قَوْمِي وحُمَّ قُدُوْمُهَا
أَلَا خَلِّيَا مَجْرَى ٱلجَنُـوبِ لَعَلَّهَا يُدَاوِي فُؤَادِي مِنْ جَوَاهُ نَسِيْمُهَا

هذا ملخص ماذكر الأخ أحمد بعد أن أضاف قلم تحرير المجلة مايوضح بعض جمله .

(انظر صفحة ٤٦١)

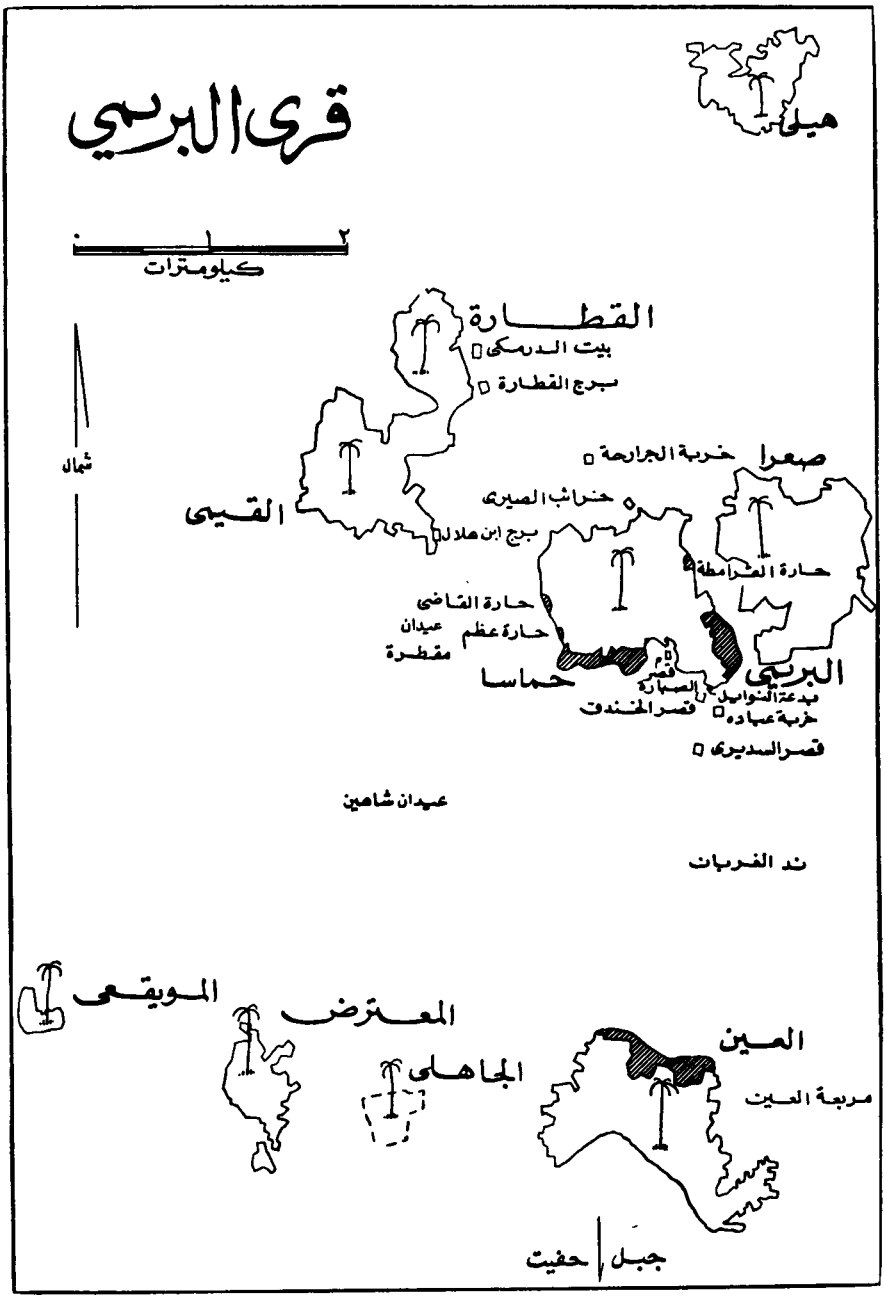
قرى البريمي
ميلى
٢
كيلومترات
شمال
القطارة
بيت الدرمكى
برج القطارة
صعرا
خربة الجرايحة
القيى
خراشب الصيرى
برج ابن هلال
حارة المقرامطة
حارة القاضى
حارة عظم
عيدان
مقطرة
حماسا
البريمى
قصر الصبارة
بدعة النواميل
خربة عباده
قصر الخندق
قصر السديرى
عيدان شاهين
نذ الغربيات
المويقعى
المعترض
الجاهلى
العين
مربعة العين
جبل حفيت

القريحاء من ضواحي مدينة سراة عبيدة

قال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» عند حديثه عن ديار جنب ــ صِ ٢٥٢ طبعة دار اليمامة ــ وقريتا جَنْبٍ الكُبيبة لبني وَقَشَة ، والقُرَيْحَاءُ حذاؤُها لبني عَبيدة ، وصَنَان غير صِنان خثعم . انتهى .

وقال عاتق بن غيث البلادي في كتابه «بين مكة وحضرموت» ــ ٧٢ ــ : والقريحاء اليوم تسمى القَرْحاء في بلاد عبيدة . انتهى .

وأقول : إنَّ القريحاء لاتزال معروفة بهذا الاسم في سراة عَبيدة ، وعلى الوصف الذي ذكره الهمداني ، وأما القرحاء التي أشار إليها البلادي فلم يَعُدْ لها ذكر في بلاد عبيدة لا شرقيها ولا غربيها ، ولو أننا فرضنا أنها كانت قائمة على طريق محجة صنْعاء إلى مكة قرب الخنقة فإن ذالك لا ينطبق على القريحاء لكون الأخيرة تَبعد عن المحجة الرئيسة أكثر من خمسين كيلاً شرق سراة عبيدة ولكون الأولى لاتحاذي شيئاً من قرى وقشة لا قديماً ولا حديثاً .

إن هناك قرية يقال لها القرحاء غرب سراة عبيدة بمساحة ٤٠ كيلاً في بلاد رُفيدة على الطريق المؤدي من خَميس مشيْط إلى نَجْران ، وليس لها صلة بحديثنا إلا من باب العلم بالشيء ودَفْع الالتباس في المسميات ، الذي وقع فيه كثير من كتاب تاريخ المنطقة .

هذا ويطيب لي قبل الحديث عن القريحاء أن أتحدث عن مدينة سراة عبيدة وجذورها التأريخية فأقول : إن سراة عبيدة كان يطلق عليها : سراة جَنْب ، ومخلاف جنب ، وبلاد جنب ، وديار جنْب ، وغير ذلك من المسميات التي تربطها جَنْبُ . وجَنْبُ ليس اسماً لأب تنسب إليه قبِيلة ولكنه اسم حلف كما تشير إلى ذلك كتب الأنساب ، ويطلق حسب العرف المحلي على ثلاث قبائل هي عَبيدة وشُريف ــ بضم الشين ــ وبنو بشر ، ولم يعد هذا المسمى مُتَداولاً إلاَّ في تهامة قحطان ، حيث يوجد بها قبائل يجمعهم اسم جنب بن سعد ، ولعل في

ذالك إشارة إلى محالفة جنب لسعد العشيرة . وقبائل عبيدة جنب إحدى أعضاء هذا الحلف قال الشاعر :

حنَّا عَبيدة لا عبيدة غيرنا إلَّا عبيدة جَنْبْ وأهْلَ بْرَادْ

إذَنْ هناك ثلاث قبائل تحمل مسمى (عبيدة)، عبيدة في نجد ومنهم الضَّيَاغِمُ الذين هاجروا إلى حائل وماجاورها ، واستقروا فيها منذ القرن التاسع الهجري تقريباً وعبيدة أبراد الذين هاجروا إلى اليمن ، واستقروا في مأرب وماجاورها ، ولازالوا بها حتى الآن ويعدون من أكبر قبائل اليمن ، وأشدها بأساً . وعَبيدة جنب الذين يقطنون سراة عبيدة وماجاورها وكل هذه القبائل تنتسب إلى عبيدة بنت مُهَلهِل حسبما هو مشهور في كتب الأنساب وإنما تعددت الأسماء بحسب المواقع فقط .

وعلى مر العصور تلاشى اسم سراة جنب ليحل محله خَمِيس عبيدة ، نسبة إلى سوق أسبوعي كبير ، كانت تتولى حِرَاسة الأمن فيه قبيلتا آل الصقر وآل معمر ، من عَبِيدة فكان له موقعان موقع لدى قبيلة آل معمر في قرية القريحاء التي هي موضع حديثنا وتقوم قبيلة آل معمر بحمايته ومنع حدوث أي أمر ضار كالاعتداء والثأر والسرقة والغش، مدة ستة أشهر، ثم ينتقل السوق بعد ذالك عند قبيلة آل الصقر في قرية آل عابس ، وبنفس المدة والمهمة ، وكان يَؤُمُّ السوقَ كثير من القبائل المجاورة وكان من الأسواق القديمة المشهورة ويقع بين مكاني السوق مسافة عشرة أكيال من مقره في القريحاء إلى مقرّه لدى آل عابس ، وكان المتسوقون والتجار يعانون من متاعب التنقل بين المكانين المذكورين، فاجتمعت القبيلتان المسؤُولتان عن أمن السوق واتفقتا على تحديد موقع متوسط بين القبيلتين وفي قرية يسكنها بعض من قبيلة آل مُعَمِّر وبعض من قبيلة آل الصقر وهي قرية الْبُوطَة ويسكنها من آل الصقر جماعة الْجُبَرَة وجماعة آل عُظَيَّة كما يسكنها من قبيلة آل معمر جماعة المحاميد وجماعة آل نُمَيلة ، واستقر السوق في هذه القرية على نفس المسؤوليات المذكورة من حيث رعاية الأمن وشاء الله بسبب هذا السوق أن تصبح قرية البُوطة نواةً لمدينة سراة عبيدة التي اتّسعت في هذا العهد الزاهر لتشمل

القريحاء وآل عابس ، وبعض قرى وقشة حيث توجد بها معظم الدوائر الحكومية منذ عهد الملك عبدالعزيز ــ رحمه الله ــ الذي أسس بها محكمة شرعية وإمارة ، ثم توالى من بعد ذالك إنشاء جميع المرافق العامة التي أهلت مدينة سراة عبيدة لأن تكون قاعدة بلاد قحطان وثالث مدينة في منطقة عسير بعد أبها وخميس مشيط .

أما القريحاء التي هي موضوع حديثنا فهي تقع شمال مدينة سراة عبيدة ويحدها من الشرق الجبل الأسود الذي ذكره الهمداني وشبهه بجبال العارض في نجد ، كما يحدها من الشمال قرى قبيلة آل عائذ عبيدة أما من الغرب فتحدها قرى وقشة ، ومنها قرية الكبيبة التي سنلقي عليها الضوء بعد الكلام عن القريحاء . هذا وتبلغ مساحة هذه القرية خمسة وعشرين كيلاً مربعاً .

وأصبح تداول هذا الاسم محدوداً لدى كبار السن بسبب اتساع القرية وتكاثر سكانها فالسكان اليوم يزيدون على ألفي نسمة يسكنون عددا من القرى متفرعة عن القريحاء وكلهم من آل معمر على النحو الآتي :

١ ــ جماعة الغَلَقَة ويحاذون الجبل الأسود من الغَرب .
٢ ــ جماعة الزَّهْرة ويحاذون جماعة الغلقة من الغرب كما أنهم يحاذون وقشة من الشرق وفي قريتهم كان السوق المشار إليه والذي أصبح الآن مجمعاً للمرافق الحكومية في القريحاء .
٣ ــ جماعة الأشاعرة ولهم وطن في القريحاء ووطن في العِيْض مشترك بينهم وبين بعض من قبائل وقشة كما أن أوطان جماعة الزهرة والأشاعرة متداخلة ومتشابكة مع أوطان وقشة بحكم الجوار كما أنه يوجد ضمن القريحاء جماعة آل الورد وجماعة آل دريم وهم من آل مُعَمِّر أيضاً .

ويتوسط القريحاء جبل أسود منفرد يقال له العهار ، وحجارته صلبة رنانة ، ومن هذا الجبل إلى سلسلة الجبل الأسود الذي أشار إليه الهمداني حدباء منبسطة طولها كيلان اثنان تسمى حدباء حَـام كما أن أعلى قمة في تلك السلسلة هي قمة جبل رندغ المسمى الآن جبل الزهرة ، ولعل في هذه الأسماء (رُنْدُغْ ـالعهارـ حَام) مايشير إلى جذور تاريخية قديمة بسبب العجمة التي وردت في هذه الأسماء

وإن كانت الأسماء لا تعلل . أما تضاريس القريحاء فأبرز مايميزها سلسلة الجبال السود الممتدَّة من الجنوب إلى الشمال ، والتي تنزل سيولها لتغذي مزارع القريحاء عبر وادي السروي الذي ينحدر من جنوب قرى آل عابس جنوباً ثم يلتقي بوادي السروِيِّ الثاني الذي ينحدر من أعالي قرى وقشة فيتّجه شمالاً حيث يلتقي بأودية رفيدة وستران في اتجاه بيشة .

وبهذه المناسبة فقد وقع البلادي في وهم حين قال : إن أودية سراة عبيدة تتجه شرقاً حتى تصب في نجد نجران ص ٥٤ وفي الحقيقة ليس في بلاد قحطان قطرة ماء تصُب في وادي نجْران .

أما الحمرة والمنشر في بلاد سنحان فإن سيولها تتَّجهُ شرقاً إلى وادي حبونا شمال نَجران وباقي بلاد قحطان تتجه سيولها إما إلى تَثليث أو إلى بيشة أو إلى بَيْش في تهامة .

ونعود إلى ذكر سلسلة الجبال السود فنقول : إنَّ ما سال سيله منها شرقاً فإنه يصب في وادي تثليث إما عن طريق وادي الخنقة ، وإما عن طريق وادي الجوف وهذه السلسلة تسمى القعم أو القُعُوْمَ مفردها قَعْمة ، وهي المقصودة في قول شهوان بن ضيغم .

لنا وَادْيِ ضَايْقٍ بنا يَا آلْ ضيغَمْ صْغِيْرْ ونَرْجِي منْ ورَاهَ الْفُوَايِدْ
من أسفله نَجْـدَ الحمادْ يحـدّنَا والراس مَبْرِيَّ الْقُعُوم الْفَـرَايِـدْ

وأرجو أن يتاح لي المجال للحديث عن وادي الضِّياغم في مناسبات مقبلة .

وفي القريحاء كثير من الآبار القديمة التي ينسبها الأهالي إلى بني هلال فيقولون (بئر هلالية) وهي البئر المنحوتة في الصخر ، كما أن القريحاء تشتهر بخصوبة أرضها وقد كانت مصدراً للزبيب قبل حوالي مئتي سنة بدليل ماوجد من آثار تدل على ذالك في المنازل القديمة ، وتوزيع القطع الزراعية وذالك لتوفر الماء من الغيل الذي كان يسقي وادي الزهرة وهو عبارة عن عين جارية تستعمل في سقي الحقول عبر قنوات رَيٍّ وصرف ، لازالت آثارها قائمة ، مع أن هذه العين قد نضبت وأصبح الأهالي يعتمدون في مزارعهم على مياه الأمطار والآبار .

ويوجد في قرية الزهرة كثير من الأبراج لحماية قنوات الغيل والمزارعين الذين يعملون في الحقول ، وكانت أكثر حروبهم مع وقشة بحكم الجوار يقول شاعر وقشة :

من ضيمنا هَبْتُوا على الغَيل خندق ومن ضيمكم هبنا على القرن داير[1]

ولازال الخندق قائماً واضحاً لأنه منحوت في أرض صخرية على اِمْتِدَادِ ثلاث مئة متر في مكان غربي الغيل ، يشكل حَظْراً على الوادي ، ولأن باقي الجهات يوجد بها مواقع طبيعية ومزارع تشكل عائقاً أمام فرسان الغزاة .

أما القَرْن فهو من قرى وقشة والمراد بالدائر السور ، فقد كان محاطاً بسور نظراً لصغر حجمه ، وسنتحدث عن وقشة لما لها من علاقة بموضوع هذا المقال ولأن القريتين الآن تتمتعان بحسن الجوار في هذا العهد الزاهر الذي خيم على الجميع بأمنه وإخائه وازدهاره ، والكُبَيْبة هي صنو القريحاء إلا أن القريحاء لبني عبيدة والكُبيبة لبني وقشة ، ووقشة فروع من رفيدة من قحطان الجنوب ، وليسوا من جنب كما أن مُسَمَّى الكبيبة قد اندرس تماماً حتى أنك إذا سألت عن الكبيبة لم تجد من يجزم بأنها تطلق على مكان كذا إلا أن من إضافتها إلى وقشة يتضح أنها إحدى قرى وقشة الحالية وهي : قَرْنُ وقَشَة والخُمْرة والجِزْعة لكن هناك من يقول من خارج القبيلة بأنها تطلق على الجبل المسمى (ظلم) وأنه كان يسمى الكبيبة لكنني أستبعد هذا الرأي ، وأرجح أن المراد بالكبيبة القرية التي تسمى الآن (قرن وقشة) وذلك للأسباب الآتية :

١ ــ محاذاته لقرية القريحاء لبني عبيدة .
٢ ــ صلاحيته للسكنى لقلة ارتفاعه ووجود الآبار القديمة فيه .
٣ ــ إن جبل ظلم عظيم الارتفاع ولا يصلح للسكنى وليس به آثار تدل على أنه كان قرية باستثناء أثر برج واحد ربما كان يستعمل لإيقاد النار إيذاناً أو انذاراً بوجود حرب كغيره من الجبال إذ أنه من المعروف أن لكل قبيلة جبلاً تشب فوقه النار لاستنفار القبيلة وربما أنه يطلق على هذا الجبل الكبيبة وأن

قرية القرن قد سميت باسمه لاسيما وأنها لاتبعد عن الجبل سوى أقل من كيل واحد ، والجبل حتى الآن لبني وقشة بلا منازع ، إذ أنه يتوسط هذه القرى وهي تحيط به من الشمال والجنوب والغرب ، وأما من الشرق فيحده مدينة سراة عبيدة.

ولا ينبغي لي أن أنهي حديثي قبل الإشارة إلى صنان الذي ورد ذكره إلى جانب الكبيبة والقريحاء فالهمداني ذكر هذه المواقع لكونها على المحجة الفرعية من جرش حتى سروم والخنقة حيث المحجة الرئيسة طريق أصحاب الفيل الأثري ، وصنان يقع شرق مدينة سراة عبيدة على مسافة ٣ أكيال وهو أرض جبلية غير صالحة للسكنى والزراعة ويقطنه البدو وبصفة دائمة ، وتعود ملكيته لبعض قبائل آل الصقر ، ولا يوجد به من الآثار مايدل على أنه كان قرية في زمن الهمداني ، وربما كان محطة استراحة لقوافل الحجيج ونحوها ، وقد أنشأت الحكومة أيدها الله سداً في هذا الموقع تستفيد منه القرى التي تقع أسفل هذا السد ، بالإضافة إلى فائدته لسقيا المواشي كما يجلب منه الماء بواسطة السيارات لسقيا المزارع ولاحتياج العمران نظراً لقربه من مدينة سراة عبيدة .

وبهذا أرجو أن أكون قد أوضحت بعضاً مما يجب إيضاحه وكم أتمنى أن يطرح أمام القراء بعض هذه المسميات على غرار ما اتُّبِعَ من تحقيق موقع كُتْنَةَ وذالك لتتضح الصورة ، ويزول الالتباس بين المواقع التي تتشابه أسماؤها في هذه البلاد العزيزة والله من وراء القصد .

سراة عبيدة عبدالله بن أحمد آل ناجي

* * *

الحواشي :

(١) هبنا : جعلنا . داير : معناها : سور .

بنو رشيد وغطفان

علق الأخ عطا الله بن ضيف الله الرَّشيدي على مانشرته «العرب» ج ١ ، ٢ س ٢٢ (رجب/شعبان ١٤٠٧) ص ١٤٠ بتوقيع الأخ عبدالعزيز بن سعد العبدلي ــ علق الأخ عطا الله بكلام ملخصه : العتب على الكاتب عبدالعزيز من حيث أنه حاول نَفْيِ نِسْبَةِ بني رَشِيدٍ إلى غطفان .

وتحدَّث الأخ عطا الله عما يؤيد تلك النسبة مدافعاً عما أدْلَى به في مقاله الأول المثير لتعليق القاريء عبدالعزيز ، وكان مما استدل به عبدالعزيز أن ابن خلدون والقلقشندي لم يذكرا نسبة بني رَشيد إلى غطفان ، فعلق على هذا الأخ عطا الله بقوله : لادليل ولا حجة بعدم ذكر هذين المؤرخين لِنَسب بني رشيد ، فقد فاتهما الكثير من أنساب قبائل العرب التي كانت تَحِلُّ جزيرتها لبعدهما عن هذه الجزيرة ، وجهلهما بأنساب أهلها في العصر الذي عاشا به . وأضاف : إن القلقشندي كان فيما كتب ناقلاً لاقائلاً وأكثر تعويله على الحمداني الذي كان (مهمندارا) مدير ضيافة وكان مَعْنِياً بتدوين أسماء القبائل التي يفد منها وفود إلى حكام الدولة المصرية في عهده ، وماكل العرب كانت لها وفود إلى تلك الدولة .

وابن خلدون دَوَّنَ تاريخه في عصر كانت فيه الجزيرة العربية تَعِجُّ بالمنازعات ٱلْقَبَلية ، وعدم الانقياد لأية سلطة تتولى فَرْضَ الأَمْنِ بين سكانها ، مما يجعل من الصعب ــ إن لم يكن من المستحيل ــ أن يحاول ابنُ خلدون أو غيره من العلماء جَوْبَ قِفَارِ الجزيرة للتنقل بين قبائلها لكتابة أنسابها .

ولهذا نجده حينما يتحدث عن القبائل العربية التي تحل في جزيرتها يأتي بعبارات تدل على جهله بحالة تلك القبائل ، ومن أمثلة ذالك قوله : أما بنو غطفان ، فبطن متسع كثير الشعوب والبطون ، منازلهم بنجد مما يلي وادي القُرَى ، وجبل طيء ، ثم تفرقوا في الفتوحات الإسلامية واستولت عليها طيء . ثم عدد بطون غطفان وقال: أما بنو أشجع فكانوا عرب المدينة وكان سيدهم مقعل بن سنان من الصحابة ، ومنهم نُعَيْمُ بن مسعود . . . الذي شَتَّتَ جموع

الأحزاب عن النبي ﷺ . . وليس لهذا العهد منهم بنجد أحد إلا بقايا حول المدينة . انتهى .

وأضاف الأخ عطا الله : من الواضح أن ابن خلدون حكم على غطفان بحكمين : الأول: حكم عام وشامل بتفرقها بلا استثناء ، واحلال طيء محلها . والثاني : حكم يناقض الحكم الأول ، وهو أن بقايا من قبيلة أشجع بقوا في منازلهم حول المدينة المنورة ، وهاؤلاء البقايا فيما ترجحه أوثق أقوال المحققين هم قبيلة (الذِّيَبَةِ) سكان الصلصلة والثمد جنوباً من خيبر ، فيما بينها وبين المدينة ، وتلك مواطن قبيلة أشجع منذ القدم ، أما عن بني ذبيان (فزارة ومرة وثعلبة) وبني عبس فشملهم بالحكم الأول وقل مثله في بني عبدالله .

وقد أجمعت أقوال المعنيين بعلم النسب في هذا العهد أن أولئك القدماء من غطفان هم هؤلاء المقيمون في عالية نجد وفي بعض السفوح الشرقية من حرة (سليم) .

وقال عن قبيلة فهم : فهم بطن متسع كانوا بأرض نجد . . وليس منهم الآن أحد .

قلت : مازال قسم من قبيلة فَهْمٍ القيسية ويعرف باسمها يعيش ويقيم في غرب السراة ، وآخر منها محالف لبني سُلَيم وهم بنو طرود .

وقال عن قبيلة بني سُليم : وكانت بلادهم في عالية نجد بالغرب وفي حرة خيبر ومنها حرة بني سليم ، وحرة النار بين وادي القرى وتيماء ، وليس لهم الآن عدد ولا بقية في بلادهم .

قلت : لم ينزل الله على بني سليم ريحاً صرصراً ليقطع دابرهم كما مَرَّ بنا ، وبنو سُليم لايزالون يقيمون ويعيشون في جزء كبير من بلادهم ، ويعرفون باسمهم القديم ، ومنهم فروع دخلت في قبيلة حرب وأسر كثيرة متحضرة ، وليست حرة النار من معالم بلادهم .

وقال عن قبيلة هذيل : وقد تفرقوا على الممالك ولم يبق لهم حي .

ولست بحاجة إلى القول أن قبيلة هذيل لهذا العهد معروفة وتقيم في بلادها .

وقال عن هوازن : ولم يبق بالسروات منهم إلا من ليس له صولة .

قلت : هوازن جِذْمٌ عظيم يجمع بالنسب شعوباً وقبائل كثيرة ، منهم بنو عامر بن صعصعة وبنو جشم وبنو سعد وبنو ثقيف وغيرهم من الشعوب والقبائل ، مما لايتسع المجال لذكره ، وقد حكم ابن خلدون بأنهم جلوا عن منازلهم ، بحيث لم يبق فيها منهم إلا من ليس له صولة ــ سبحان الله ــ إن جل بطون قبيلة عتيبة الشهيرة ينتسبون إلى فروع معروفة من هوازن ، وبنو ثقيف معروفون في مواطنهم القديمة ، وقبيلة سُبيع عامرية من هوازن ، تنتمي إلى بني عامر بن صعصعة ، وغيرهم ممن هم اليوم معدودون في قبائل معروفة .

أما القلقشندي فهو وإن كان غطفاني النسب إلا أنه مصري المولد والنشأة ، ولهذا فهو لم يسجل في كتابه «نهاية الارب» جميع أنساب القبائل العربية التي تعيش في الجزيرة ، وأوضح الأدلة على ذالك أنه في كتابه المذكور ص ٣٣٨ و٣٤٠ حين ذكر بني عبدالله عَدَّ ثلاثة عشر بطناً من بطون العرب ممن يسمى ببني عبدالله ومع ذالك فقد فاته أن يذكر بني عبدالله بن غطفان وهم إخوته في النسب .

فهل يصح القول بأن ابن خلدون والقلقشندي ذَكَرا جميع أنساب القبائل العربية وأن نسب القبيلة إذا لم يرد في كتابي العالمين المذكورين لا أصل له ؟!

هذا ملخص ماعلق به الأخ عطا الله بن ضيف الله الرشيدي على الكلمة التي نشرت بتوقيع الأخ عبدالعزيز بن سعد العبدلي .

الكباكبة من هذيل

[ملخص رسالة بعث بها الأخ محمد بن علي الحتيرشي الهذلي]:

اطلعت على مانشر في مجلة «العرب» س ١٨ ص ٥٩ بقلم الأستاذ محمد جابر الحسني وخلاصته : ــ

١) الحوازم من حرب ولم يذكر متى دخلوا في حلف هذيل .

٢) القمشان قال : إن جدهم كان أميراً على مكة في زمن الإمام سعود بن عبدالعزيز الذي احتل الحجاز عام ١٢١٨هـ وكان ذَا منزلة واسمه محمد القمشي .

يعني قبل عام ١٢١٨هـ لم يكن في الكباكبة قمشان واعتقد أنهم من قمشان مطير لمجرد تشابه اسم جدهم باسم قمشان مطير .

٣) المشاعلة قال هم من آل حميد من قحطان سكنوا نعمان منذ مئتي (٢٠٠) سنة .

٤) آل حسن وينتمون إلى الأشراف الحسينين سكان المغرب قدم جدهم يوسف بن اسماعيل الصالحي الحسني مع الجيش العثماني عام ٩٢٣هـ برتبة (باش جاويش) ثم اشترى بلاد تعرف باسم (ملاطم) شمال وادي نعمان عام ٩٥٧هـ من عمرو بن الحارث المناعي ثم حالفت ذريته من بعد قبيلة آل مناع ثم آل فضل أي إن الذين حالفوا ذرية (باش جاويش) يوسف بن اسماعيل الصالحي الحسني وليس هو وذالك بعد وفاته أي بعد شراء بلاده المعروفة باسم ملاطم عام ٩٥٧هـ ويفهم من ذلك أن أول من حالف الكباكبة هم آل حسن بعد عام ٩٥٧هـ ثم المشاعلة قبل مئتي سنة ثم القمشان بعد عام ١٢١٨هـ فماذا بقى من قبيلة الكباكبة المعروفة الآن غير العشائر التي عدها هو من هذيل وعشيرة الحوازم التي لم يذكر متى حالفت .

أقول وبالله التوفيق إن قبيلة الكباكبة كانت تعرف بهذا الاسم قبل هذه التواريخ التي ذكرها وأقدمها تاريخ شراء جده البلاد المسماة ملاطم عام ٩٥٧هـ فقد ذكر عبدالقادر الجزيري صاحب كتاب «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة» في أحداث عام ٩٦٠هـ ج ٢ ص ٩٢٣ ماهذا نصه (ومن الحوادث في هذه السنة غضب الشريف أبي نُمَيٍّ على أهل بجيلة فجهز لهم تجريدة حافلة من الدروع والبنادق ، وثلاث عجلات وقيل خمس مدافع ، لهدم حصونهم ، وأمر عربان تلك الجهة هذيل والكباكبة وظهران وعدوان وصاهلة وبعيد ثقيف) الخ . . فقد عد قبيلة هذيل على وجه العموم ثم خص منهم

■ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** :

ألف الإمام الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي (٥٤٤/٦٠٠) كتاب «الكمال في معرفة أسماء الرجال» والمقصود بهم رجال الحديث من ٱلأَئِمَّةِ المؤلفين فيه وحفاظه ورواته ، وأصبح ذالك الكتاب من أهم المراجع في موضوعه ، إلا أن مما أُخِذ عليه عدم الاستقصاء وعدم استيفاء جميع تراجم الأسماء التي ذكرها ، فتصدَّى لتهذيبه وإكمال نقصه أجلة من علماء المحدثين من أشهرهم الحافظ يوسف بن عبدالرحمن ٱلمِزِّي (٦٥٤/٧٤٢)، وقد تناول كتاب المزِّي بالاختصار والتهذيب بعض مشاهير المحدثين من المتأخرين كالذهبي وابن حَجَرٍ وغيرهما .

أما كتاب «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للحافظ المزي فقد نُشِرَ مصوَّراً في

الكباكبة وظهران ، والمقصود الظهوان بواو قبل الألف والنون وهم فرع من هذيل أهل نعمان وصاهلة وهي قبيلة هذلية قديمة معروفة .

ويظهر من كلام الجزيري ، أن الكباكبة كانت في ذالك العصر كبيرة ذات عدد وعدة ، وأنها تعرف قبل هذا التاريخ (٩٦٠هـ) بكثير فالكباكبة قبيلة هذلية موجودة قبل أكثر من خمس مئة عام ، ومعروفة قبل دخول العشائر التي قال إنها دخلت في حلف مع هذيل ثم عرفوا باسم جبل كبكب فمن المعروف أن الجبل يعرف بالقبيلة وليس بالعكس مثل جبل عوف وجبل صُبْح وهما قبيلتان من حرب وجبال بجيلة ، وسراة عسير ، وسراة عبيدة وغيرها من الجبال التي تعرف باسم القبائل التي تسكنها .

أما الكباكبة فهم يتوسطون بين هذيل الشام (الشمال) وهذيل اليمن (الجنوب) في بلاد آبائهم وأجدادهم حيث من المعروف أن قبيلة هذيل لازالت تسكن بلادها القديمة . هذا ماأردت الإشارة إليه مع التحية للأستاذ .

مكة : محمد بن علي بن هلال الحتيرشي

ثلاثة مجلدات ضخام عن مخطوطة محفوظة في (دار الكتب المصرية) سنة ١٤٠٢ (١٩٨٢) ، إلا أن كثيراً من صفحات المصورة اعتراها عدم وضوح ، يضاف إلى ذالك أن ضِخَم أجزاء الكتاب جعلت من الصعب سهولة اقتنائه .

ولقد اتجه الأستاذ رضوان دعبول لنشر الكتاب نشراً محققاً ، فعهد إلى الدكتور بشار عواد معروف إلى تحقيقه ، وضبط نصه والتعليق عليه ، فتم ذالك ، وقامت مؤسسة الرسالة التي يتولى الأستاذ رضوان دعبول إدارتها بنشره ، فصدر منه سبعة مجلدات تحوي من التراجم أول الكتاب ــ من حرف الألف إلى آخر حرف الحاء ــ بحيث بلغت الأسماء المترجمة (١٥٨٦) اسماً . ولاتزال الأجزاء تصدر متتابعة .

ويجد المطالع أسماء مصادر ترجمة كل من ذكر في هذا الكتاب مما يدل على الجهد العظيم الذي صرفه الدكتور بشار عواد معروف في إبرازه بصورة تستكمل منها الفائدة .

ولاشك أن الأستاذ رضوان دعبول في نشر هذا الكتاب وفي نشر كتاب «سير أعلام النبلاء» وأمثالهما من الكتب التي نشرها اسدى يداً كريمة لطلبة العلم ، وأبرز من تراث السلف الصالح العلمي كنوزاً ماكانت تبرز لولا توفيق الله له وما أمده من عناية واهتمام .

وكتاب «تهذيب الكمال» هو الذي هذبه الحافظ ابن حجر في كتاب «تهذيب التهذيب» الذي طبع في حيدر آباد في الهند في اثني عشر مجلداً .

■ **التكملة والذيل والصلة** :

السيد محمد مرتضى الزبيدي (١١٤٥/١٢٠٥) صاحب كتاب «تاج العروس من جواهر القاموس» تَتَبَّعَ في شرحه هذا مافات صاحب «القاموس» ذكره من المفردات اللغوية في كل مادة ، وأوردها بعنوان «المستدرك» ، وقد أفرد ماستدرك به من كلمات في كتاب سماه «التكملة والذيل والصلة ، لما فات صاحب القاموس من اللغة ، ومع أنه في «التاج» أورد جُلَّ مافي هذا الكتاب أو كله ، إلا أن إفراد ذالك المستدرك بكتاب قد يسهل للباحث إدراك الفائدة في أقصر ومن، ولهذا قام

مجمع اللغة العربية في القاهرة بنشر كتاب «التكملة» فصدر منه مجلدان يضم أولهما المستدرك من حرف الألف إلى نهاية حرف الجيم ، ويضم الثاني من حرف الحاء إلى نهاية حرف الراء وقام بتحقيق الجزءين الأستاذ مصطفى حجازي الذي كان مديراً عاماً لمجمع اللغة ، وهو الآن يشرف على طبع كتاب «التاج» في الكويت .

وصدر الجزءان مطبوعين في القاهرة بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة ١٤٠٦ (١٩٨٦) .

■ **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** :

كتاب «مسالك الأبصار» لأحمد بن يحيى بن فضل الله ٱلعُمَرِي (٧٠١/٧٤٩) من أشمل الكتب وأوسعها في مختلف العلوم والفنون ، وقد بُدِئَ في نشر الكتاب سنة ١٣٤٢ (١٩٢٤) في مصر بتحقيق الأستاذ أحمد زكي باشا فصدر المجلد الأول منه ثم توقف العمل . ومنذ سنوات اتجهت إحدى الجامعات في بلادنا إلى نشر الكتاب ، إلا أنه لم يصدر شيء من أجزائه من عمل تلك الجامعة فيما أعلم حتى الآن . وقامت مستشرقة تدعى دوروتيا كرافولسكي بنشر الجزء المتعلق بقبائل العرب فصدر ــ «العرب» س ٢٢ ص ١٤٤ ــ .

كما نشرت جزءاً آخر يتعلق بمصر والشام والحجاز لم أطلع عليه ، ولكنني اطلعت على هذا الجزء بتحقيق الأستاذ أيمن فؤاد السيد وهو عن ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ، ويظهر أن القسم المتعلق باليمن أضيف إلى ماقبله بخلاف ترتيب الأصل ، وهو مما سبق أن قام الأستاذ أيمن بنشره مفرداً .

وقد اعتمد الأستاذ أيمن في نشر هذا الجزء على مخطوطات خمس وصفها في المقدمة ، وأضاف إلى الكتاب حواشي توضح غوامض كثير من الكلمات والجمل ، وجاء في طباعة حسنة بفهارس مفصلة في ٢٠٤ من الصفحات سوى المقدمة التي باللغة الفرنسية ، الواقعة في سبع صفحات .

وقد قام بنشر هذا الجزء (المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة) ولم يذكر اسم المطبعة ولا تاريخ الطبع .